

نحن باهظ

رواية



ملاك

الجزائرية

ثُمَّنْ بَاهِظْ

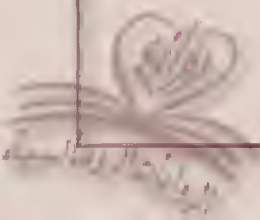
عَمَجْ بَاهِظْ

بقلم : ملاك

تصميم غلاف : Besan

تصميم الداخلي : Zouba

ملاك



الفصل الاول

تسللت اشعة الشمس تداعب خصلاتها الشقراء المبعثرة
على وسادتها، تململت في نومها تحاول تجاهل هذه
المزعجة المظلة من تحت الستائر، فجأة هبت واقفة من
فراشها كمن لدغتها افعى، هذا اول يوم لها في الجامعة
وهي لا تزال نائمة، ارتدت ملابسها بسرعة ووقفت تتأمل
غرفتها تفكر اين يمكن ان تجد مفاتيحها، ملابسها المكدسة
فوق بعضها تكاد تنافس الجبال طولا وكل شئ مبعر على
الارضية، بعد ساعة من البحث المتواصل وجدت المفاتيح
اخيرا تحت السرير، اخذتهم وانطلقت تسابق الريح للوصول
في الموعد، تجاهلت صوت والدتها ووالدها يدعوانها
لتناول الفطور وواصلت تقدمها نحو الباب، لمحت جدتها
تجلس في الحديقة تتلو آيات من كتاب الله، طبعت قبلة على

جبينها واستقلت سيارتها تحت نظرات جدتها الحانية
المصحوبة بدعوات تمطرها بها يوميا، سابت الزمن
للوصول بالمحاضرة وهاهو اكبر مخاوفها يتجسد امامها،
صف لا متناهي من السيارات تتحرك بسرعة السلحفاة،
تحمل المقود المسكين غضبها بضربات كادت تكسره،
حاولت تخفيف توترها بوضع احمر شفافها المفضل، نظرت
في مرآة السيارة تحاول وضعه بطريقة مثالية عندما لمحت
سيارة سوداء تتخطى السيارات الاخرى وتتقدم بسرعة
كبيرة حتى اصبحت بجانبها تماما والان تحاول اخذ
مكانها!! عاودت امساك المقود باحكام وكأنها تتأهب
لمعركة حامية، السيارة السوداء تحاول الدخول امامها
ورأسها العنيد يأبى السماح لها بذلك، تقدمت كلتا السيارتين
في نفس الوقت بسنتيمتر واحد ثم سنتيمتر اخر وثاني
وثالث فاصطدام، ترجل صاحب السيارة السوداء وملاح
الغضب تعلو وجهه، ترجلت هي الاخرى كأنها تتحداه لكنها

ثُمَّنْ بَاهِظْ

توترت قليلا عندما واجهته بطوله الفاره فبرغم ارتفاع
كعب حذاءها الشاهق لم تكد تصل مستوى كتفه، قطع صوت
افكارها صياحه فيها :

-ما الذي فعلته يا آنسة !!

صاحت هي الاخرى:

-اسأل نفسك يا سيد...

واصل حديثه بنفس النبرة الغاضبة ...

-اما كان بإمكانك السماح لي بالمرور فحسب!!

هذه المرة اجابته ببرود مستفز :

-اما كان بإمكانك الانتظار في الصف ككل الناس !!

انفعل اكثر فمن هي حتى تعطيه دروسا في الاخلاق !! لكن
صوتها لم يتوقف عن ازعاجه عند هذا الحد بل ارتفع اكثر

ثمن باهظ

يطالبه باعتذار، نظر اليها شذرا عندما سمع كلماتها
الاخيرة :

-فلتعتذر حالا ...

ارتفع جانب فمه بابتسامة ساخرة كأنه يقول انا اعتذر !!
ومنك !! حافظ على هدوئه يتأمل هذه القصيرة التي تطلب
منه اعتذارا بوقاحة ثم خرجت كلماته باردة اثارت حنقها
اكثر: -لن اعتذر ...

-سأجعلك تعتذر رغما عن انفك... ضحك بسخرية واضحة
هذه المرة وهو يراقبها تلتقط هاتفها لتتصل برقم ما أرجح
انه والدها، نظرت اليه بخبث مردفة :

-انتظر بضع دقائق وستعتذر ...

لم يعلق فقط استند بجسده على سيارته بانتظار والدها لكن
تلك القصيرة خالفت توقعاته فبدل مواجهة والدها وجد
نفسه بمواجهة احد رجال الشرطة يطلب منه مرافقته الى

القسم بتهمة اختراق قانون المرور اضافة الى خدش سيارة مواطنة بريئة مع بعض التهم الاخرى التي لم يسمع شيئا منها فقد توقف عقله عند سماع كلمة "بريئة" ... بريئة !! تلك القصيرة لا تمت للبراءة بصلة لكنه انقاد وراء الشرطي لرؤية نهاية القصة، جلس امام الضابط في القسم تجاوره تلك الخبيثة كما اطلق عليها الآن فكلمة خبيثة تناسبها اكثر من كلمة بريئة، حاول الضابط فض النزاع بطريقة مسالمة لكنها اصرت على مقاضاته في حالة لم يعتذر، اما هو فحافظ على هدوئه يتأمل وقاحتها وشيئا آخر لم ينتبه له من قبل، "جمالها" نعم هي جميلة جدا شعرها اشقر بلون اشعة الشمس وعيناها بلون اخضر قاتم، انفها قصير يناسب شكل وجهها الدائري، وشفتيها ممتلئتين بطريقة مثيرة تعلوهما حمرة مغرية بنكهة الكرز، جمالها طبيعي فهي لا تضع من مساحيق التجميل سوى تلك الحمرة على شفتيها، ترتدي بنظالا ابيض يصل فوق كعبيها تعلوه سترة بلون الكرز

ثمن باهظ

البادي على شفتيها، طبعاً مع حذاء ذو كعب جد عالي، افاق من جلسة التأمل تلك على صوت الضابط الذي سأله للمرة المئة ان كان سيعتذر ام لا، حتى العفريته القصيرة بجانبه تنتظر اجابته بقلة صبر، نقل بصره بينهما قائلاً بهدوء :

-اسف

علت الدهشة وجوه الحاضرين، الكل توقع محاكمة شرسة تحت عنوان "كبريائي"، لكنه قطع افكارهم بتراجعته واعتذاره ببساطة، رفعت انفها بغطرسة متوقعة وابتسمت لنصرها مجيبة انها قبلت اعتذاره ووقفت مغادرة تشكر الضابط على تعاونه، ظل يتأملها حتى غادرت وهو يتساءل كيف تنازل امامها، ثم غادر هو الآخر ...

قادت سيارتها الى المنزل تلعن حظها الذي جعلها تمضي يومها في قسم الشرطة بدل قاعة الجامعة ثم دلفت المنزل بهدوء لتجد شقيقتها الكبرى تبكي كالاطفال في حضن

والدتها وجدتها تحاول تهدئتها اما والدها فقد فضل المشاهدة من بعيد وهي حتما ستفضل الذهاب لغرفتها على سماع اخر مناوشات اختها مع زوجها، تلك المناوشات التي باتت تحفظ تفاصيلها الآن، استلقت على فراشها مغمضة العينين تحاول اخذ قسط من الراحة عليها تستيقظ في الوقت المناسب للحاق بمحاضرتها ليوم غد، وفعلًا استطاعت الوصول في الوقت المحدد او ربما بعد خمس دقائق من الوقت المحدد، هرولت الى القاعة المنشودة، عدلت هدامها، اخذت نفسا عميقا وطرقت الباب طالبة الاذن بالدخول، وما كادت تفتحه قليلا حتى رات ملامح رجل قد حفظتها جيدا البارحة، تراجعت بفزع مغلقة الباب خلفها، البارحة جعلته يعتذر منها واليوم هو استاذها!! دارت حول نفسها بتوتر شديد ثم وقفت تنظر الى الباب بتفكير، ادخل وتفتح ابواب جهنم على نفسها ام تعود ادراجها!!

الفصل الثاني

ظلت تتأمل الباب للحظات ثم حسمت امرها، ستدخل، ستواجه وحتما ستفوز... اخذت نفسا عميقا ودخلت بهدوء، رآته منغمسا بأحد الأوراق بدت وكأنها قائمة أسماء الطلبة، رفع عينيه لترسم دهشة كبيرة على وجهه، سألها بصوت هادئ:

-هل من خدمة يا آنسة !!

وبخفوت اجابته:

-انا طالبة هنا...

نظر الى ساعته فاتخذت وضعية الدفاع مباشرة، تعلم أنه لن ينسى ما فعلته وسينتقم منها شر انتقام وهي أبدا لن تسمح له بذلك، سمعت صوته الهادئ مرة اخرى يردد:

ثمن باهظ

-هذه ليست قاعة سينما تدخلين وتخرجين متى شئت،

المحاضرة لها قوانينها ويجب عليك الالتزام بها...

عضت شفتها السفلى بحنق، ودت لو تدق عنقه لتشفى

غليها منه وترتاح، رأى حالتها فابتسم بنشوة، نكهة الكرز

على شفتيها تبدو اجمل بكثير من المرة السابقة، لكن

العفريّة القصيرة كما يسميها هو لم تسمح له بالاستمتاع

كثيرا فقد وقفت بشموخ هاتفة:

-من حق الطلبة التأخر لمدة خمس دقائق...

رفع حاجبه الأيمن بسخرية مجيبا اياها:

-يبدو أنك تفهمين في الحقوق كثيرا، لماذا اخترت مجال

الهندسة ولم تخصصي في القانون اذا!!

شعرت بالدم يغلي في عروقها مرة اخرى، لكنها لم تتخلى

عن قناعها الجليدي، اجل لن يصل مبتغاه، هي ابدا لن

تستجيب لاستفزازاته بل حان الوقت لتلقن هذا المغرور
درسا...

- لم أفكر يوما بدراسة القانون لكنه لا يبدو فكرة سيئة
فالبلاد مليئة بأشخاص لا يحترمون القانون ويحسبون
الأرض ملكهم دون غيرهم...

العفريّة القصيرة سجلت هدفا في مرماه، بل هدفين ويجب
عليه معادلة النتيجة مهما كلفه الأمر، هز راسه بابتسامة
مؤيدة طالبا منها الجلوس وعدم معاودة الكرة مجددا لأنه
قطعا لن يسمح لها بالدخول ان تأخرت مرة اخرى، اتجهت
للخلف بخطى واثقة تحت نظرات زملائها و زميلاتها
الحائرة، اختارت الطاولة الاخيرة للجلوس بعيدا عن اعين
استاذها لتستطيع التفكير بأريحية في الخطوة التالية، بدأت
الحصة بتعريف الاستاذ بنفسه:

ثمن باهظ

-صباح الخير جميعا، انا الاستاذ ابراهيم الخليلى وسأكون استاذكم خلال هذه السنة، أتمنى ان تحترموا القوانين خاصة الانضباط بالوقت...

سكت قليلا ليرى مدى تأثير كلماته على صاحبة شفاه الكرز، وكما توقع تماما هي تستشيط غيظا، ابتسم بمكر وواصل:

-أريد منكم الآن ان تعرفوا بأنفسكم، مع ذكر سبب اختياركم للهندسة دون التخصصات الاخرى..

بدأ الطلبة يعرفون بانفسهم واحدا تلو الآخر والاستاذ ينصت لهم بتركيز شديد حتى حان دورها، كانت كلماتها تعبر عن مدى ثقتها بنفسها وربما تعبر عن غرورها ونرجسيتها...

-مرحبا... اسمي فاتن، فاتن الشنقاوي، قررت التخصص بمجال الهندسة لانني اريد ان اصبح مهندسة ديكور، اثق انني املك موهبة وكل ما احتاجه هو صقلها...

كان الاستاذ يستمع الى كل حرف مما قالته واكثر ما لفت انتباهه كان اسمها، اجل فاتنة هي كاسمها، لكن ملامح وجهه القاسية لم تتغير ما اربك فاتن، هي لا تشعر بالراحة في صفه ويجب عليها الخروج من هذا المازق باقل الاضرار الممكنة...

انقضت حصة التعارف كدهر على فاتن، اما ابراهيم فقد كان مستمتعا بمراقبة انفعالاتها، توترها، ارتباكها وحتى حنقها، خرج الطلبة من القسم بروح متحمسة للدراسة مع هذا الاستاذ الرائع الذي يبدو عليه التفهم والوقار، في حين توجهت فاتن الى الادارة مباشرة، وقفت امام مكتب سيدة في منتصف العمر، ترتدي حجابا اسودا ونظارة طبية تخفي معظم ملامحها، تتحننت في وقفاتها لتشعرها بوجودها، رفعت السيدة راسها لترمقها بنظرة متفحصة من راسها الى اخمص قدميها...

-نعم يا آنسة...

ارتبكت فاتن قليلا لكنها سرعان ما استعادت ثقتها بنفسها:

-اريد تغيير الفوج ان امكن...

اخفضت السيدة راسها لتتفحص بعض الاوراق امامها...

-هناك مكانين شاغرين في الفوج الثالث والسابع، بإمكانك

اختيار اي فوج تريد

لم تتردد فاتن في سؤالها عن هوية استاذ الهندسة في كلا
الفوجين، استغربت السيدة من سؤالها لكنها عاودت تفحص
الاوراق لتجيبها:

-الاستاذ ابراهيم الخليلى هو المسؤول عن الفوج الثالث

احتقتت الدماء في وجه فاتن لدى سماع اسمه لكنها

استدركت الموقف...

-ماذا عن الفوج السابع!!

-الاستاذ احمد طالب مسؤول عنه...

تنفست الصعداء لتطلب من السيدة نقلها الى الفوج السابع في اقرب فرصة ممكنة... التفتت لتخرج من الادارة وهي تشعر بالراحة التامة، لن تضطر الى مواجهته او رؤيته بعد الآن، لكنها لم تدرك انه يقف خلفها منذ حضورها الى مكتب السيدة، كان يستند بكتفه الايمن على الباب ويده اليسرى تحمل محفظته الانيقة في حين علت نظرة منتصرة وجهه، العفريته القصيرة خائفة وهاهي تنسحب بهدوء، فهمت ما يدور في رأسه فلغت نفسها من هذا الموقف، ظلت تردد في اعماقها انها ليست هاربة هي فقط تود قضاء عام هادئ تتفرغ فيه الى دراستها بعيدا عن حرب كبرياء تافهة... رسمت بسملة على وجهها وهمت بالمغادرة حين استوقفها صوت استاذها:

-لم اظن يوما ان من جعلتني اعتذر ستهرب من مقابلي...

ثمن باهظ

هل يستفزها الان!! هل تطلب من السيدة ايقاف عملية النقل
لتريه من تكون فاتن الشنقاوي!!

-لست السبب في قراري يا استاذ، كل ما في الامر انني لم
اشعر بالراحة بين الطلبة في الصف...

هز راسه بابتسامته الساخرة مجددا:

-حظا موفقا يا مهندسة...

هذه المرة هو من احرز هدفا ولن يكون اخر هدف، يعلم
انها لا تريد الاحتكاك به لكن شئ ما بداخله يحثه على
الاستمرار في مضايقتها وكسر غرورها ولن يوقفه شئ
عن تعليمها فنون الادب...

خرجت فاتن من الادارة وشياطين الارض تتراقص امامها،
من يكون حتى تهرب منه!! من يظن نفسه اصلا!! لكنها
سرعان ما اרכת ملامح وجهها لتبتسم بنشوة عند تذكرها
اعتذاره منها، لابد انها اول طالبة يعتذر منها استاذها في

ثمن باهظ

قسم الشرطة، ثم استطردت قائلة: -هو ليس استاذي
اصلا... استاذي هو المدعو احمد

* * * *

اضاء مصابيح شقته ووقف يتأمل الهدوء الذي يعم المكان،
عاد بذاكرته خمس سنوات الى الوراء، ذلك الحادث الذي
قلب حياته راسا على عقب، انتشله من ذكرياته صوت
هاتفه، التقطه ليجد اسم صديقه الوحيد، ضغط زر الاجابة...
-غير معقول!! احمد بجلالة قدره يتصل!!

احمد بمرح:

-سمعت انك لم تتناول طعامك منذ سفري فأردت ان اطمئنك
علي...

-يبدو ان مصادرك غير موثوق بها، كنت اتناول عجلا
سمينا لتوي...

ثمن باهظ

احمد يصطنع الغضب:

-هكذا اذا!! تنتظر سفري لتستفرد بالاكل وحدك!!

ثم واصل بنبرة شبه حزينة:

-ابراهيم فلتنس صداقتنا يا خائن...

ضحك ابراهيم بقوة ثم سأل بنبرة جدية:

-كيف حال مصطفى!!

اخرج احمد نفسا عميقا مجيبا:

-الطبيب يقول انه بحاجة للعملية في اسرع وقت ممكن...

-لا تقلق احمد، مصطفى طفل قوي وسيتعافى باذن الله،

اعطني مصطفى اريد التحدث اليه

-انه نائم مع والدته...

اجابه ابراهيم بتفهم:

ثمن باهظ

-حسنا اذا، ابلغ سلامي لحياة وقبل مصطفى نيابة عني،
تصبح على خير...

احمد بتذكر:

-ابراهيم انتظر... لقد اتصلت بالجامعة لطلب اجازة لكنهم
ابلغوني بضرورة ايجاد استاذ يحل محلي طوال فترة
سفري...

ابتسم ابراهيم قائلا:

-وصلت الرسالة يا زعيم، سأستلم عملك لكن ستدفع ثمن
الطعام لمدة اسبوع...

ضحك احمد مجيبا:

-سأغلق الخط قبل ان يصبح الاسبوع شهرا، تصبح على
خير

ثمن باهظ

اغلق ابراهيم الخط بابتسامة وهو يدعو الله ان يشفي ابن
صديقه الوحيد...

* * * *

طرقت الباب بخفة لتجد جدتها لا تزال عاكفة على سجاداتها،
اقتربت منها بهدوء وجلست الى جوارها تنتظر انتهاءها،
سلمت الجدة فاطمة من صلاتها والتفتت لحفيدتها، ضمتها
الى صدرها وقبلت جبينها بحنان...

-كيف حال صغيرتي اليوم!!

سحبت فاتن نفسها من احضان جدتها بهدوء

-انا لست صغيرة جدتي...

ابتسمت الجدة بحنية...

-بل انت صغيرة وستظلين صغيرة مهما كبرت...

-يا سلام... ما كل هذه الرومانسية...

ثمن باهظ

كان هذا صوت جواد شقيق فاتن الذي اقترب ليطلع قبلة
على راس جدته واخرى على خد شقيقته...

-كيف حال الجامعية اليوم!!

رفعت فاتن راسها بغرور مصطنع:

-الاساتذة انبهروا بذكائي وارجحوا انني سأصبح مهندسة
كبيرة بعد يوم واحد من تخرجي...

قهقه بصوت مرتفع:

-انت!! انت مهندسة!!

واصل الضحك بطريقة جعلتها تقذفه بوسادة على وجهه
قائلة:

-لئيم...

لم يعرها اهتماما بل واصل قضم التفاحة في يده ثم اصطنع
الجدية:

-فاتن لدي سؤال لك...

التفتت فاتن وجدتها ينظران اليه فأكمل:

-هل يعلم اساتذتك انك مرشحة لمسابقة سبات الدبية هذا

العام!!

نظرت الى جدتها صارخة:

-جدتييي!!

جاهدت الجدة نفسها لكتم ضحكتها وامرت جياذ ان يخرج

من غرفتها لكنه رفض فقامت فاتن بالصعود الى غرفتها

حتى لا ترى وجهه، جلست على فراشها واخذت حاسوبها

تتفحص حسابها الخاص على موقع الفايسبوك ولم تنتبه

لطرقات الباب حتى سمعت صوت اختها دلال:

-فاتن...

ثمن باهظ

رفعت رأسها لتجد شقيقتها تنظر اليها بنظرات خاوية قبل
ان تردف:

-انا سأطلق...

ابتسمت بسخرية...

-مبروك...

اجابت دلال بعصبية:

يبدو انك سعيدة!!

لم يأتها اي رد ما زاد غضبها...

-فالاثن انا اكلمك...

ردت بهدوء مستفز:

-دلال تعلمين جيدا انني لا احب توفيق حتى والدانا لم يوافقا
عليه، لكنك عاندت وتزوجته رغم انني اخبرتك انه ضايقتني

ثمن باهظ

مرات عديدة، اخترت تصديقه وتكذبي فما الذي تتوقعينه

مني الان!!

صمتت دون رد فهي تعلم ان اختها محقة، من ظنته

سيصونها طوال حياتها خانها مرات كثيرة، والان يجب ان

تدفع ثمن طيشها، لذلـم فضلت الانسحاب من غرفة شقيقتها

قبل ان تخونها دموعها امامها، شعرت فائن بالاسى لحالها

لكنها لا تستطيع مسامحتها على ما فعلته حين اخبرتها ان

خطيبها توفيق يضايقها، صرخت بوجهها متهمة اياها انها

من تحاول لفت انتباهه دائما وانها تشعر بالغيرة منها لانه

خطبها هي، اغلقت حاسوبها بغضب واستسلمت للنوم فالغد

يوم جديد واستاذ جديد...

الفصل الثالث

الظلمة حالكة، كل ما يسمعه هو اصوات صراخ حادة تكاد تفقده عقله، مد يده ليمسك بمصدر الصوت لكن شبّح الشخص امامه انساب من بين اصابعه، ظل يتلفت حوله عله يلمح مخرجا من هذه الظلمة القاتمة، ارتفع صوت آخر يناديه باسمه...

-ابراهيم لا تتركنا...

عاد يجري في كل الاتجاهات يتحسس مصدر الصوت لتضيء الدنيا في وجهه فجأة، اعتدل في فراشه يمسح حبات العرق المتصبية على جبينه، التقط كأس الماء بجانبه وشربه دفعة واحدة محاولا تجاهل هذا الكابوس الذي

ثُمنُ باهظ

يلازمه منذ خمس سنوات كاملة، سمع صوت أذان الفجر
فقام يصلي طالبا المغفرة من الله عز وجل...

* * * *

استيقظت على صوت منبهها المزعج، اتجهت نحو الحمام
تنعش نفسها قبل بداية يومها الطويل، ارتدت فستانا ازرق
بلون السماء بدون اكمام يصل تحت ركبتها مع حذاء اسود
كلون شريط فستانها الملفوف حول خصرها، حملت حقيبتها
الانيقة وخرجت من غرفتها الى قاعة الطعام اين وجدت
عائلتها مجتمعة لتناول وجبة الفطور...
-صباح الخير...-

رد الجميع التحية والدهشة تعلو وجوههم فهذه اول مرة
يرونها مستيقظة منذ الصباح الباكر، بدأ جياذ الكلام بخبث:
-الدبة القطبية افاقت من سباتها!!-

ثمن باهظ

رمقته بابتسامة صفراء وجلست بهدوء فتوقف عن الكلام،
انتهزت دلال فرصة صمتهم لالقاء ما في جعبتها:
-قررت الرجوع الى العمل...

علت الدهشة وجوه الجميع سرعان ما تحولت الى نظرات
اطمئنان من والدها ونظرات سعيدة من والدتها وجدتها...
فريدة (والدتها) بفرحة غامرة:

-قراك في محله يا ابنتي، اخرجي من عزلتك واستمتعي
بوقتك فالحياة لا تتوقف عند احد...

ايد سليم زوجته فريدة في دعمها لابنتهما مردفا:

-سأتصل بصديقي حسين لاعلمه بقراك...

قاطعته دلال قائلة:

-لا داعي لذلك ابي، اتصلت بصديقتي جمانة وقد اعدت كل
شئ من اجلي، سابدأ مداومتي هذا اليوم...

ثمن باهظ

كان جواد يتابع بأعين ساخرة قبل ان يلقي قنبلته:

-هل هذه بداية بحث جديدة عن توفيق اخر!!

استاذنت دلال بالمغادرة نحو عملها وهي تحارب الدموع في مقلتيها... انب سليم ابنه على ما فعله ونهض خلف ابنته يراضيه في حين اكتفت الجدة بنظرة لوم رمقتها به اما فاتن فقد كانت تفكر في الوضع الجديد، دلال استاذة جامعية وعودتها للعمل يعني تواجدها الدائم بنفس المكان معها، حملت حقيبتها وخرجت تلعن حظها الذي يفرض وجودها مع اشخاص لا تريد الاحتكاك بهم، اخرجت هاتفها لتتصل برقم تحفظه عن ظهر قلب، انتظرت لحظات قبل ان ياتيها صوته الناعس من الجهة الاخرى متسائلا:

-هل رايتني في منامك!!

زفرت بضيق هاتفه:

-امازلت نائما!! قم يا كسول...

ثمن باهظ

انتظرت للحظات دون اجابة فصرخت:

-الادم!!!!!!!!!!!!

انتفض ادم في فراشه مرتعبا...

-ما خطبك اليوم فاتن اجننت!!

حاولت الحفاظ على هدوئها لتجيبه:

-دلال قررت العودة للعمل...

فرك ادم عينيه يحاول استعاب ما سمعه للتو...

-يبدو ان شقيقتك تشتاق لك كثيرا ولم تعد تستطيع الابتعاد

عك كثيرا...

اغلقت الخط بغضب دون التوقف عن السب والشتم

والتوعد، استقلت سيارتها للذهاب الى الجامعة محاولة

تهدئة نفسها، وصلت امام البوابة الرئيسية في نفس وقت

وصول سيارة الاستاذ ابراهيم، ابتلعت ريقها لتتفاجأ به

ثمن باهظ

يفسح لها الطريق لتمر، استغربت في البداية لكن سرعان
ما ارتسمت ابتسامة خبيثة على وجهها قائلة:
- يبدو ان الاعتذار في قسم الشرطة قد ادبه كثيرا...

* * * *

وقف تحت العمارة ينتظر صديقه ليلمح توفيق بصحبة فتاة
في حالة سكر ولم يكن هو بافضل حال منها، شدد على
قبضته كي لا يفقد اعصابه ويرتكب جريمة في حق كليهما،
خرج ايهاب من العمارة فلمح الغضب في عيني جياساله
ما الخطب لكنه لم يجبه، التفت ايهاب حيث ينظر جياساله ففهم
سبب اشتعال صديقه، ربت على كتفه برفق قائلا:
- لا تهتم به جياس، دلال ستتطلق قريبا، لن يربطكم به شيء
بعد الان...

امسك جياس بكفه الموضوعه فوق كتفه قائلا:

ثمن باهظ

-دلال غبية، لا افهم كيف استطاعت اختياره على الرغم من حبك الكبير لها...

اخفض راسه بحزن هامسا:

-قدر!!

* * * *

وقفت تتأمل الجامعة، تذكرت ذلك اليوم المشؤوم، اليوم الذي تعرفت فيه على توفيق، دلال كانت استاذة محبوبة، بسمتها الرقيقة ولطفها اكسبها احترام الجميع لها، التدريس كان حلمها منذ الصغر لكنها تخلت عنه لارضاء زوجها، ذلك الرجل الذي انقذها من حادثة سقوط كادت تؤدي بحياتها، التقت اعينهما للمرة الاولى لتبدأ قصة عشقهما او بالاحرى قصة عشقها فتوفيق لم يحبها يوما، لم تكن سوى تحد وضع رهانه عليها مع صديق له وفاز به، صدقته ووثقت به، تخلت عن الجميع من اجله، غادرت

منزل اهلها معه وهي تعلم انهم غير راضين عن تلك الزيجة، لم تهتم فمن يهتم امره واقف بجانبها، منها بسعادة لا متناهية، رسم عالما مثاليا لها، كتب قصائد عشق كانت هي بطلتها... لكن... دوام الحال من المحال، تغير توفيق كثيرا، خف اهتمامه بها وكثرت سهراته مع اصدقاءه ومع ذلك لم تشك يوما في اخلاصه، حتى بدأت الرسائل تصلها على هاتفها "زوجك يخونك" لم تصدق، هذه غير نساء، هي اذكى من التهور في موقف كهذا... بدأت الامور تزداد سوء، توفيق يشرب الخمر، توفيق يتعاطى المخدرات، توفيق يخونها!! اصيبت بانهيار عصبي حاد، دفنت على اثره نفسها في غرفتها، اخبرت اهلها انها مسافرة مع زوجها لتجنب اي احتكاك بهم، هي اصلا لا تعلم كيف ستواجههم، لذلك فضلت الاحتفاظ بماء وجهها على الاقل امام عائلتها، لكنه تمادى كثيرا، تذكر اخر ليلة عندما...

-دلااااا!!

التفتت ناحية الصوت الذي قطع شريط ذكرياتها...

-جمانة!! اهلا اشتقت اليك...

حضنتها جمانة بقوة وهي تقول:

-اشتقت اليك اكثر، كيف حالك، اتعلمين انني غاضبة منك!!

لم تتصلي بي منذ اكثر من ستة اشهر...

ابتسمت دلال لصديقتها التي لم تتح لها فرصة الكلام

وحضنتها مرة اخرى...

-تعالى نجلس في مكان ما لنحدث بأريحية اكبر...

* * * *

انقضت محاضرتان ببطئ شديد على فاتن، لم تستوعب

خلالهما شيئا واحدا، ارادت اخذ قسط من الراحة بعد خروج

الاستاذة فاسندت راسها على ذراعيها فوق الطاولة في

ثمن باهظ

محاولة سخيقة منها للاسترخاء... دخل الاستاذ القاعة فاخذ كل طالب مكانه، سمعت فاتن صوتا مألوا ففتحت عينيها برعب...

-هل بدأت اهلوس به الآن!! افيقي فاتن انت في فوج جديد!! هذا ليس سوى كابوس مزعج... افيقي...

شعرت بأنامل تلمس راسها فرفعته بسرعة لتجد زميلة تجلس امامها تنبهها ان الاستاذ ينظر اليها، التفتت حيث يقف فلم تصدق عينيها...

-ما الذي يفعله هذا هنا بحق الجحيم!!

الفصل الرابع

لم تصدق ما تراه، غيرت فوجها فلحقها!! اما هو فقد ظل يراقب انفعالاتها وتوترها الظاهر بانتصار، منظرها المرتبك ممتع جدا، انتبه فجأة ان الطلبة يحدقون فيه بدون فهم فبدا الكلام...

-مرحبا... انا ابراهيم الخليلي، استاذ الهندسة...

قاطعه احد الطلبة قائلا:

-لكن من المقرر ان ندرس مع الاستاذ احمد طالب وليس مع حضرتك...

او ما براسه مؤيدا...

-اعلم... لكن الاستاذ احمد في اجازة لظروف خاصة
وساتولى تدريسيكم حتى حين عودته...
لم تصدق فاتن حرفا واحدا مما قاله، تظن انه يفعل هذا
عمدا لا غاظتها، فليكن... هي لن تهتم، لن تهرب مجددا
يبدو انه يريد اثاره المشاكل فحسب... افاقها من شرودها
عدة طرقات خفيفة على الباب، اذن له الاستاذ بالدخول
فظهر شاب طويل في مقتبل العمر، شعره اسود وعيناه
بنيتان، لحيته الخفيفة اكسبته منظرا رجوليا جميلا، يرتدي
سروالا اسود من الجينز يعلوه قميص اخضر داكن، حذاء
رياضي بنفس لون قميصه ويحمل على ظهره محفظة
رياضية جميلة، اقترب من الاستاذ وفي يده ورقة تبين
انتماءه لهذا الفوج، تفحص الاستاذ الورقة في حين جال
الشاب ببصره على كل الموجودين حتى استقر على فاتن
فابتسم... مد الاستاذ يده بالورقة قائلا:

ثمن باهظ

-اهلا ادم، تفضل واجلس وليكن في علمك انني لا احب ان يدخل احد بعدي...

فهم ادم ما يلح اليه الاستاذ فاجابه بمرح:

-اسف استاذ، الطريق كانت مزدحمة لكن اعدك ان انضبط...

اخذ الورقة من يده واتجه نحو فاتن التي بادلتها ابتسامة بدورها، هم بالجلوس الى جانبها فسمع صوت الاستاذ محذرا:

-ادم هذه ليست قاعة سينما، جد مكانا اخر...

تمت فاتن بحنق:

-فلتذهب الى الجحيم انت وقاعة السينما...

لم يفهم ادم شيئا مما يحدث فهز راسه متسائلا وهو ينظر اليها:

-من اي عصر هو!!

ابتسمت رغما عنها مجيبة بخفوت:

-قد يكون من العصور الوسطى...

* * * *

ارخت فريدة جسدها المتهالك على الاركة للاسترخاء قليلا،
لمحت والدتها زوجها السيدة فاطمة تجلس في الحديقة فقامت
لتجلس معها...

-السلام عليكم...

ابتسمت فاطمة بحنان:

-وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته، كيف كان
يومك!!

ردت فريدة بتعب:

-شاق كالعادة، الجمعية تكبر ومشاكلها تزداد...

ثمن باهظ

-ماذا عن مساعدتك الم تعد بعد!!

-لا تزال مسافرة مع ابنها المريض...

هزت فاطمة راسها باسى مرددة:

طهورا ان شاء الله...

في هذه الاثناء عاد سليم الى منزله فلم يجد احدا، فخرج الى الحديقة...

-انتم هنا اذا !!

زفرت فاطمة بضيق:

-وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته...

ابتسم لأمه وقبل جبينها معتذرا:

-كيف حال سيدة الكل!!

تنحنت فريدة بغيرة مصطنعة:

ثمن باهظ

-سيدة الكل هااا...

غمزها سليم بشقاوة:

-انت سيدة القلب...

وكزته امه في كتفه مازحة!!

-احترم وجودي يا ولد...

انفجر جياذ الواقف خلفهم ضاحكا:

-سليم ولد !! يا سلاااااام...

اصطنع سليم الحزن قائلا لوالدته:

-ايرضيك ان اهان امام ابني يا امي!!

واصل الجميع الضحك والمرح مع بعض، فقد مضت مدة

طويلة منذ آخر مرة جلسوا فيها مع بعض والفرحة

تغمرهم...

ثمن باهظ

انغمست دلال مع طلبتها ولم تشعر بانقضاء اليوم، انساها
العمل مرارة واقعها فتأكدت من صحة قرارها، انتظرت
صديقتها جمانة للذهاب معها الى حضانة الاطفال لاصطحاب
ابنتها سارة، ظلت واقفة امام الباب ولم تنتبه للشخص
الداخل فاصطدم بها...

-اسف، لم انتبه لوجودك يا انسة...

ردت بارتباك دون ان ترفع عينيها:

-لا عليك، لم يحدث شئ...

واصل الرجل طريقه فنطت جمانة امامها بابتسامة خبيثة:

-دلااااااااا!!

رمقتها دلال بنظرة غاضبة بعد ان فهمت تلميحاتها:

-لا داعي لاستنتاجاتك السخيفة الان تعلمين انني لا افكر في الامر...

احاطت جمانة ذراع صديقتها جاذبة اياها للخارج...

-لماذا لا تفكرين في الامر!! لا تزالين صغيرة وجميلة والاستاذ ابراهيم اكثر من مناسب...

-ومن يكون الاستاذ ابراهيم !!

اجابت جمانة بتلقائية:

-الرجل الذي اصطدم بك منذ قليل...

لم تعرها دلال اي اهتمام وواصلت طريقها فهي قد اكتفت من الرجال...

* * * *

صفت سيارتها امام مطعمها المفضل والغضب يعلو

ملاحها، ترجل ادم محاولا تهدئتها:

ثمن باهظ

-لا تشغلي بالك به فاتن، هي مدة مؤقتة وسيعود الاستاذ
الاخر...

لم تستطع كبح غضبها اكثر فاطلقت له العنان ليخرج:

-وهل صدقته فعلا!! انه كاذب، كاذب، الاستاذ احمد ليس
غائبا، هذه مؤامرة قذرة منه لا غاظتي، هو لم ينس ما فعلته
به في قسم الشرطة وكيف جعلته يعتذر امام جميع
الحاضرين، يريد ان ينتقم مني، لكنني لن اسمح له باهانتني،
ساريه من تكون فاتن الشنقاوي...

حاول ادم اسكاتها مرات عديدة لكنها لم تتوقف بل واصلت
شتم استاذها ولعنه بابشع الالفاظ، توقفت قليلا لالتقاط
انفاسها فانتبهت لنظرات ادم المرتبكة، سألتها ما الخطب
فاشار خلفها... التفتت ببطئ لتجد ابراهيم الخليلي وقد
استمع لكل حرف مما قالته، ابتلعت ريقها هامسة...
-انت هنا !!

الفصل الخامس

اصر زميل له على اصطحابه معه الى احد المطاعم فاضطر للذهاب مرغما، هو يكره الاحتكاك بالناس، يحاول دائما الابتعاد عن الاشخاص المحيطين به، لكن لا خيار امامه هذه المرة، وصل المطعم فجلس على مقعد وثير يتأمل المنظر امامه بانتظار عودة زميله من الحمام، سمع صوتا انثويا بات يحفظه جيدا فالتفت ليجدها بصحبة ادم، لم يستطع رؤية ملامحها لانها كانت توليه ظهرها لكن بدا الغضب جليا في صوتها، لم يكن من الصعب معرفة انها تقصده بكلامها، حاول ادم تنبيهها لوجوده لكن دون جدوى، واصلت الكلام وواصل الاستماع، صمتت اخيرا للحظة ثم التفتت لتشعر بصدمة افقدتها القدرة على الكلام، حتى هو

لم يجد ما يقوله، حافظ على هدوئه دون اشاحة بصره عنها
مما زاد ارتباكها، حاول ادم تلطيف الجو فقال بمرحه
المعتاد:

-مرحبا استاذ... يبدو انه مقدر لنا ان نلتقي مجددا...

هز ابراهيم راسه محييا ثم ادار وجهه للجهة الاخرى يفكر
بكلامها...

كادت فاتن تقضم اظافرها من فرط التوتر، الان اصبحت
توقن ان حظها مشؤوم، فكرت بالمغادرة لكن سرعان ما
تراجعت، لن تهرب مجددا، لن تشعره بخوفها، هي اصلا
ليست خائفة، ولماذا تخاف!!

حاولت تناسي الموقف لكن ارتباكها بدا واضحا لادم الذي لا
يزال جالسا امامها...

-فاتن اهدئي، يبدو انه سيغادر...

ثمن باهظ

تظاهرت باللامبالاة مجيبة انها لا تهتم، لكن ادم يعلم انها كاذبة فهي لم تأكل شيئاً من طعامها لذلك فضل المغادرة، وقف امام عامل الدفع وهي تجاوره فاخبره العامل ان الفاتورة قد تم دفعها مسبقا، شعرت بالدم يغلي في عروقها، فسألته عن ثمن الطعام وعيناها تشتعلان نارا...

* * * *

دخلت الحضانة الى جوار صديقتها، سمعت اصوات الاطفال المشاغبة، فحبست دمعها من النزول عند تذكر حملها الذي لم يقدر له رؤية نور الدنيا، عادت بذاكرتها شهرين الى الوراء، نتائج الاختبار تظهر انها حامل، كادت تفقد عقلها من الفرح، ظنت ان الانجاب سيعيد حياتها مع زوجها الى ما كانت عليه، تذكر جيدا كيف كانت ردة فعل توفيق حين اخبرته بأبوته القريبة، جن جنونه ورفض الامر جملة

وتفصيلاً، أخبرها أنه غير مستعد لتحمل مسؤولية فرد آخر فيكفيه ما يقاسيه معها، أنهى كلامه بجملة لا تقبل النقاش: -اجهضيه...

لم تصدق ما يقوله، ظنت أنه سيتراجع، سيلين وسيحب طفله، لم تشفع لها دموعها للاحتفاظ بصغيرها فقد كان مصراً على التخلص من الحمل، احتد النقاش بينهما، كلاهما لا يريد التراجع، دفعها في لحظة غضب لتهوي من فوق الدرج وتستقر في بركة حمراء تعلن انتهاء حملها... افأقت على صوت الصغيرة سارة تسأل والدتها: -ماما من هذه!!

أجابتها جمانة وهي تقبل وجنتيها الصغيرتين:

-هذه الخالة دلال سلمي عليها عزيزتي...

أخذت دلال الصغيرة في حضنها لتسالها برفق:

-ما اسمك يا جميلة!!

اجابتها ببراعة:

-سالة... اسمي سالة (سارة) وانت يا حالة (خالة)...

-اسمي الحالة دلال... اقصد الخالة دلال...

كتمت جمانة ضحكتها بصعوبة بالغة ثم قررت دعوة

الاثنتين لتناول المثلجات على حسابها...

* * * *

استيقظ صباحا على نفس الكابوس، اخرج نفسا عميقا

مرددا:

-الى متى يا الهي... الى متى!!

نهض من فراشه بتثاقل، تناول فطوره ثم حضر نفسه

للعمل، وصل قبل الجميع فتنهد بارتياح، فتح باب القاعة

وكما توقع تماما، العفريّة القصيرة بانتظاره، تجلس على

ثمن باهظ

اول طاولة في الصف الاوسط وملامحها تدل على السخط،
يبدو انها لم تستطع النوم ليلة البارحة وهذا امر رائع،
جلس على مكتبه دون اعارتها اي اهتمام، فشعرت بالضيق
الشديد، ها هو يعتمد تجاهل وجودها فوقفت قائلة بحنق:
-و عليكم السلام...

فتح حاسوبه امامه ولم يتفوه بحرف واحد مما زاد اشتعال
غضبها، اقتربت منه ووضعت نقودا على سطح مكتبه قائلة
باقتضاب:

-شكرا لدفعك الفاتورة، لكن لم يكن هناك داع...

حافظ على هدوئه يكمل عمله كأنها غير موجودة ما اثار
غضبها اكثر، رددت في نفسها:

-هل فقد قدرته على الكلام!!

ثمن باهظ

تركت النقود على سطح المكتب وغادرت القاعة بانتظار موعد المحاضرة، فلبتسم هو بمكر بعد مغادرتها متوعدا اياها بما هو اكثر...

امضت فاتن المحاضرة شبه نائمة، تصحو لحظة وتغفو اخرى في حين استمر هو استراق النظر اليها خلسة، فكر في احراجها امام زملائها لكنه تراجع فمشاهدتها الان اجمل...

حملت حقيبتها بعد انقضاء الحصة وهمت بالخروج مع ادم حين لمحت النقود لا تزال على سطح المكتب، توقفت تنظر اليها وملامح الضيق بادية على وجهها، استفسر ادم عن السبب فقست عليه ما حدث، استغرب كثيرا من القصة فنصحها بالابتعاد عنه فهو لا يبدو رجلا سهلا على الاطلاق، لكنه يعلم ان نصيحته لا تسمن ولا تغني من جوع فمن تقف امامه تجسيد للعناد وبياسة الرأس..

جلس سليم يتابع عمله في مكتبه حين دخلت عليه
سكريتيرته لمياء تخبره ان شخصا ما يود لقاءه، عقد
حاجبيه باستغراب طالبا منها السماح له بالدخول، خرجت
لمياء من المكتب وما هي الا لحظات حتى سمع طرقا على
الباب...

-ادخل...

فتح الباب ودخل اخر شخص توقع سليم رؤيته، رد التحية
باقتضاب مشيرا له بالجلوس، وضع توفيق رجله اليمنى
على اليسرى قائلا بوقاحة:

-اريد قهوة لو سمحت...

اجابه سليم بنبرة صارمة:

-فلتدخل في صلب الموضوع بلا لف او دوران...

تابع توفيق الكلام بوقاحة:

-اريد زوجتي...

ابتسم الاخر بتهكم...

-زوجتك!!

-اجل زوجتي، اخبرها انني اريدها ان تعود هذا المساء
والا...

قاطعته سليم بغضب واضح:

-والا ماذا!! توفيق اسمعني جيدا لانني لن اعيد كلامي
مرتين، ستطلق دلال بارادتك او رغما عنك، ابنتي لن تعود
الى بيتك ما دمت حيا، وانا احذرك ان تعرضت لها مرة
اخرى او ضايقتها فستجد نفسك بمواجهتي واطنك تعلم
جيدا ما انا قادر على فعله...

ابتلع توفيق ريقه وهو يستمع لكلام حموه، لطالما كان سليم انسانا متفهما، فبرغم عدم اقتناعه بتزويجه ابنته الا انه لم يعامله ببرود او تعال كما يفعل ابنه جياذ، حاول الكلام مرة اخرى لكن اشارة واحدة من يد سليم كانت كفيلة باخراسه، خرج من الشركة يجر اذيال الخيبة وراءه ثم اخرج هاتفه ليتصل بصديق له...

-الو... فشلت الخطة، العجوز الاحمق رفض الاستماع الي، امهلني ثلاثة ايام وسأتدبر امر النقود...

اغلق الطرف الاخر الخط دون رد فضرب الارض بقدمه قائلا:

-من اين سأدبر هذا المبلغ الان!! اللعنة عليك يا دلال...

* * * *

قاد سيارته ليلا شاردا في افكاره، هناك شئ ما بتلك الفتاة يجذبه اليها، بدأت تغزو افكاره بلا تراجع، لكن يجب ايقاف

هذه المهزلة حالا فهي مجرد طالبة وستظل كذلك، فجأة لمح ظلا امامه كاد يدهسه، ادار عجلة المقود يحاول تفاديه ثم اوقف السيارة الى جانب الطريق ونزل يتفحص المكان، لا اثر لاي شخص هنا، عاد الى سيارته وقبل ان يغلق بابها سمع انينا خافتا، ترجل مرة اخرى يتبع مصدر الصوت فرأى جسدا متهاككا على الارض، أسرع اليه بهلع فاستيقن انها محاولة قتل، الضحية مطعون بسكين حاد وينزف بشدة، خلع سترته ووضعها على الجرح لتخفيف النزيف ثم اتصل برقم الطوارئ وقسم الشرطة، حاول الرجل الكلام فخرجت كلماته ضعيفة غير واضحة كل ما استطاع فهمه من خلالها ان هناك صفقة مخدرات ستتم غدا، حمل الرجل يده بوهن ليعطيه ورقة كتب فيها عنوان ما، شعر ابراهيم بصدمة مما يسمعه فسأله عن هوية الشخص الذي طعنه، انتفض جسد الرجل عدة مرات قبل ان تفيض روحه الى

ثُمَّنْ بَاهِظْ

بارئها لكن ابراهيم سمع اسم الفاعل بوضوح... "توفيق
بيطر"

الفصل السادس

وصلت الشرطة وسيارة الاسعاف الى موقع الجريمة، نقل ابراهيم الى القسم للتصريح بكل ما سمعه من الضحية قبل وفاته، اعطاهم الورقة ورقم هاتفه وعاد الى بيته مع وعد بعدم تسريب المعلومات حتى تداهم الشرطة العملية وتقبض على توفيق ومن معه متلبسا...

دخل منزله وجلس على اريكة يريح جسده المتهالك ثم اتصل باحمد يتفقد احواله...

-السلام عليكم، كيف حالك احمد!!

بدا صوت احمد حزينا بعض الشيء وهو يرد السلام، سألته عن السبب فأخبره انه مرهق ليس الا...

-اطمنن مصطفى بخير، وسنعود حالما يتحسن...

ثمن باهظ

لم يشعر بالراحة لكنه رد بخفوت:

-ان شاء الله...

حاول احمد اصفاء بعض المرح فعاد يسأله:

-يبدو انك مللت من تدريس طلبتي اليس كذلك!!

ابتسم بحنو وهو يتذكر فائن، هناك شئ ما بداخله يتمنى لو

يبقى احمد مسافرا لمدة اطول لكن ما السبيل!!

-ابدا... لا تفكر في طلبتك هم في ايد امينة...

جاءه صوت احمد مجددا:

-من امينة هذه!!

ضحك ابراهيم على نكتة صديقه واغلق الخط مباشرة متمنيا

له ليلة سعيدة...

ثمن باهظ

جلست امام شاشة حاسوبها تتفقد حساب الفايس بوك الخاص بها، بدأت تشعر بالملل فهمت باغلاقه قبل ان تلمح شيئاً جعلها تعدل عن قرارها، دقت النظر لتتأكد من الحساب، انه هو "ابراهيم الخليلى"... فكرت لبرهة ثم اهدت لفكرة شيطانية، فتحت حسابا اخر باسم مستعار لا يعرفه غيرها وقامت بارسال طلب صداقة... علت ابتسامة ماهرة شففتها عندما تم قبول الطلب بعد ساعتين من الارسال، انتظرت ان يلقي التحية على الاقل لكنه لم يفعل، فقررت البدء بالكلام...
-مرحبا...

-اهلا...

ظنت انه سيرسل رسالة اخرى لكنه اكتفى بالتحية، رددت في نفسها بسخرية:

-الا تتنازل حتى وانت خلف الشاشة!!

ثم سألته:

-كيف الحال!!

-بخير الحمد لله... ماذا عنك!!

-بخير (:

-من معي!!

-منال... خمس وعشرون سنة، طيبة اطفال... ماذا عنك!!

-ابراهيم... تسع وعشرون سنة، استاذ جامعي...

ظلا يتجاذبان اطراف الحديث دون ان يشعرا بالوقت يمر
حتى علا صوت اذان الفجر فاعتذر منها واغلق المحادثة،
قام يغتسل ويصلي في حين غطت هي في سبات عميق ولم
تستيقظ الا بعد اذان الظهر، كادت تفقد عقلها حين رأت
الساعة، تفحصت هاتفها فوجدت عددا لا بأس به من
الاتصالات الفائتة، عاودت الاتصال بآدم لتفقد الاخبار،
تمنت لو يخبرها ان الاستاذ ابراهيم تغيب ايضا لكنه اكد لها

ثُمَّنْ بَاهِظْ

انه كان في الموعد المحدد ولم يبد عليه آثار التعب او
الارهاق، اخرجت نفسا عميقا بغضب وهي تتساءل ان كان
خفاشا ام مصاص دماء، دفنت رأسها في الوسادة واكملت
نومها من جديد، لقد فوتت على نفسها اهم المحاضرات
لهذا اليوم ولا داعي لحضور الباقي...

* * * *

جلس على احد مقاعد المدرج لحضور الندوة حين سمع
صوتا يخاطبه...

-يا للمفاجأة... الاستاذ ابراهيم هنا!!

التفت لمصدر الصوت وابتسم...

-اهلا استاذة جمانة، كيف حالك!!

-بخير الحمد لله ماذا عنك!!

-الحمد لله انا بخير...

ثمن باهظ

جذبت جمانة دلال الواقعة بجانبها ليجلسا مع ابراهيم...
-احم... استاذ هذه صديقتي وزميلتي في العمل، دلال...
استاذة لغة انجليزية بدأت المداومة منذ مدة قصيرة... دلال
هذا الاستاذ ابراهيم التحق بالجامعة العام الماضي...
ابتسم كلاهما للآخر قائلا:

-فرصة سعيدة...

ادعت جمانة ورود اتصال من حضانة ابنتها فاستاذنت
منهما مغادرة... شعر ابراهيم بارتباك دلال فحاول رفع
الخرج عنها...

-هل يتعبك العمل!!

ابتسمت قائلة:

-لا ابدأ... اصلا هذه ليست ايامي الاولى في العمل، بإمكانك
القول انني كنت في اجازة طويلة الامد...

ثُمنُ باهظ

واصل الاثنان الكلام والثرثرة طوال مدة الندوة ولم يشعرا
بالوقت يمر حتى صفق الحاضرون للمدير على المنصة...
وقف ابراهيم قائلاً:

-تشرفت بمعرفتك استاذة دلال، صحبتك كانت ممتعة فعلاً...
ابتسمت برقة وهي تجيب:

-الشرف لي استاذ... اراك بخير ان شاء الله...

خرجت من القاعة بابتسامة فتفاجأت بجمانة تنتظرها عند
الباب بلهفة...

-ماذا حدث!! ما الذي تحدثتما بشأنه!! كيف بدت لك
شخصيته!!

لم تتوقف عن طرح الاسئلة ودلال تنظر اليها بضيق
واضح...

-جمانة كفى... اخبرتك انني غير مستعدة لاي علاقة
اخرى...

سكتت جمانة قليلا ثم مطت شفيتها بعدم اقتناع...
-انا اريد مصلحتك ليس الا...-

هزت دلال راسها بملل وغادرت فلا فائدة من الكلام مع
جمانة ان صمتت على فعل شئ ما...

* * * *

في اليوم التالي اجتمعت عائلة الشنقاوي على طاولة
العشاء، كان الصمت هو سيد الموقف حتى دخل جواد
وعلامات التشفي بادية على وجهه...

-عندي لكم خبر سيذهلكم...

تبادلت فريدة وحماتها فاطمة النظرات ثم ارتسمت ابتسامة
واسعة على وجه كليهما، فهتفت فريدة بمكر:

ثُمن باهظ

-قررت ان تتزوج اخيرا اليس كذلك...

التفت الجميع الى جياذ يترقبون اجابته فانفجر ضاحكا...

-انا اتزوج!!!

واصل الضحك حتى دمعت عيناه، فقرر سليم انهاء المهزلة
قائلا بصرامة:

-فلتلقى ما بجعبتك يا ولد...

اكتست ملامحه الجدية وهو يقول:

-احبطت الشرطة امس عملية تهريب للمخدرات بعدما
وجدوا جريمة قتل حاولوا خلالها التخلص من احد الشهود
لكنه اخبر مواطننا بالصفقة وهوية الفاعل قبل ان يلفظ
انفاسه الاخيرة...

استمع الجميع لما يقوله باهتمام شديد لكنهم لم يفهموا
علاقة جياذ بالموضوع فقرر القاء القنبلة الاخيرة...

-الفاعل هو توفيق زوج السيدة دلال..

اتسعت اعين الجميع بدهشة واتجهت انظارهم نحو دلال
التي شعرت بمغص في حلقها فتركت ملعقتها وصعدت الى
غرفتها تحال ايقاف سيل دموعها...

* * * *

جلس خلف شاشته ينتظر اتصالها بتطبيق الماسينجر لكنها
لم تتصل، هي لم تتأخر دقيقة واحدة منذ اول يوم حدثها
فيه، ايعقل ان هناك مشكلة!! ما خطبها اليوم!!

اما فاتن فبعد كل الاحداث في المنزل كانت تجاهد نفسها
لتنهي البحث الذي كلفهم به استاذها ابراهيم، لا تريد ان
تترك له فرصة ليهينها لكنها تتوق للتحدث معه، فقد شعرت
انه انسان مختلف تماما خلف الشاشة، صحيح انه لا
يضحك ابدا لكن كلامه محترم ومشوق...

اتصلت اخيرا فبدؤوا الثرثرة من جديد كما اعتادوا في الايام
الاخيرة، سألته عن يومه في الجامعة واخبرته عن يومها
مع الاطفال وامراضهم وهي تكاد تنفجر من الضحك...

اتجهت الى الجامعة في اليوم التالي بعد ان حرصت على
الاستيقاظ في الوقت الحدد وآثار الارهاق بادية على
وجهها، سألتها ادم عن السبب فارتسمت ابتسامة مأكرة
على شفثيها...

-هذه آثار العمل...

لم يفهم شيئاً مما تقوله فاسترسلت بغرور بعد ان عدلت
نظارة وهمية على انفها...

-هذه معلومات سرية لا يمكنني البوح بها الان...

تنهد ادم بسخرية ولم يردف فقد حان موعد محاضرة
الاستاذ ابراهيم ومن الافضل له الجلوس بمكانه حتى لا
يسمع تعليقا لاذعا آخر، وبعد ان مرت الحصة بسلام طلب

ثُمَّنْ بَاهِظْ

منهم وضع البحوث على سطح المكتب لتصحيحها لاحقا،

كانت آخر من يسلم بحثها فسألها:

-كيف كان البحث!!

رفعت رأسها بغطرستها المعتادة مجيبة:

-كان اسهل من شرب الماء...

ضيق عينيه يتأملها ثم قال:

-اعلم انه سهل بالنسبة لفتاة مثلك فاتن...

سكت قليلا قبل ان يضيف بمكر:

-ام انك تفضلين اسم الدكتورة منال!!

الفصل السابع

ترددت قبل ان تخبر الرجل امامها بهويتها، لكنها حسمت امرها، يجب انهاء المسألة اليوم قبل غد... جلست على كرسي خشبي تنتظر قدومه، وبعد لحظات جاء برفقة جندي وعيناه تقدحان شرا كعادته، سألها بنبرة قاسية:

-ما الذي جاء بك الى هنا!!

اخرجت بعض الوثائق من حقيبة يدها قائلة بصرامة:

-اريدك ان توقع ورقة الطلاق حالا...

رمى الوثائق بنظرة ساخرة ووقف من مكانه هاتفا:

-لا تحلمي، لن اطلقك...

ثمن باهظ

انحنيت على الطاولة بهدوء مسندة وجهها على اصابعها
المتشابكة...

-انت حر... لكن فكر جيدا، ان طلقيني الان فلن آخذ منك
شيئا، لكن ان ثبتت التهمة عليك فسيصبح موقفك ضعيفا
وقد تطول مدة عقوبتك... معك خمس دقائق لتفكر...

وكز على اسنانه بحنق ثم حمل القلم ليوقع...

-لك ذلك دلال، اصلا لقد اكتفيت منك منذ مدة طويلة...

كتمت غيظها بداخلها ورسمت ابتسامة ساخرة على شفتيها
لاستفزازه، حملت حقيبتها وغادرت تاركة اياه في حالة
غليان واضحة...

* * * *

تسمرت في مكانها وهي تستمع لجملة الاخيرة، كيف
عرف!! لكن سرعان ما استدركت الموقف بوجه حائر
يدعي عدم الفهم...

-من منال هذه!!

تراجع برأسه للوراء وعيناه تتفحصانها كأنه يحاول سبر
اغوارها...

-لا شيء، يبدو انني اخطأت...

هزت رأسها بثقة تأكد انه مخطئ وخرجت بسرعة بخطوات
مرتبكة، لمعت عيناه بمكر فقد أكدت ردة فعلها انها
الفاعلة...

جلس ادم في موقف السيارات ينتظر قدومها بقلة صبر، ظل
يتمتم بعصبية قبل ان يلمحها خارجة والتوتر يتربع على
ملامح وجهها...

-ما الخطب فاتن!! تبدين شاحبة...

اسندت جسدها على السيارة ووضعت يدها اليسرى في شعرها بتفكير دون ان تجيب، عاد ادم يسألها مرة اخرى:

-ما نوع المصيبة التي ورطت نفسك بها هذه المرة!!

خرجت كلماتها متلعثمة حائرة:

-اكتشف انني الفاعلة... هو يعلم... لكن كيف!!

حاول ادم ربط كلماتها لكن لم تتكون له صورة واضحة عما تقوله، فوقف امامها عاقدا ذراعيه امام صدره وبنبرة لا تقبل النقاش سألها:

-تكلمي بوضوح لافهم القصة...

ترددت قبل ان تبدأ الكلام لكن نظرات ادم كانت حازمة...

-اتذكر انني فتحت حسابا باسم مستعار على موقع

الفايسبوك!!

-نعم...-

-قمت بارسال طلب صداقة للاستاذ ابراهيم...-

شعر ادم بالصدمة مما يسمعه فصاح بها غاضبا:

-اجننت!!-

احكمت قبضتيها على شعرها ورأسها يكاد ينفجر من

التفكير، حتى ادم لم يستطع الحفاظ على هدوئه...-

-الم اخبرك انه شخص لا يستهان به!! الم احذرك من

الاقتراب منه!! ما الذي ستفعلينه الان!! كيف ستواجهينه

مرة اخرى!!

صرخت بغضب:

اصمت... لقد انكرت، اتظني غبية لأعترف!!

والاجابة تمثلت في قهقهة خرجت منه بسخرية:

-و هل تحسبينه غيبا ليصدقك!! الرجل عرف هويتك من
خلف الشاشة...

صمت قليلا مفكرا ثم واصل:

-لكن كيف عرف!! اي ذكاء يملك!!

زفرت بضيق وركبت سيارتها تاركة ادم وراءها، استقل
سيارته هو الآخر دون الشعور بوجود عينا تراقبن ما
يحدث منذ البداية...

* * * *

جلس ايهاب برفقة والدته عائشة يخبرها عن يومه وعمله،
امه اهم شخص في حياته، هي التي ربته بعد وفاة والده في
حادث مؤلم، ضحت بحياتها وشبابها من اجل تعليمه
وتثقيفه، دائما ما يرجع اليها قبل اتخاذ اي قرار، حكمتها
وبصيرتها ينيران دربه... حاول التمهيد لموضوع حساس
يعلم جيدا انها لن تتقبله...

-أريد ان انتزوج...

لم تصدق ما تسمعه، اخيرها وحيدها سيكون عائلة، ضمته
بحنان وهي تقبل وجهه...

-الف مبروك يا بني، اخيرا قررت ان تستقر... اخبرني من
هي!!

ركز نظره حولها يترقب ردة فعلها عند نطقه اسم دلال،
وكما كان متوقعا جحظت عيناها بذهول...

- د... دلال!! شقيقة جواد

هز رأسه مؤيدا فأجابته بنبرة خافتة...

-لكنها متزوجة من توفيق...

-ستطلق منه قريبا...

كاد يغمر عليها وهي تستمع لابنها... دلال امرأة رائعة
وطيبة لكنها متزوجة!! كانت دائما تحلم بعروس ابنها

الوحيد، تخيلت شكلها وملامحها، طباعها وشخصيتها لكنها لم تفكر يوما انها ستكون مطلقة...

* * * *

يدان مكبلتان بالاصفاد خلف ظهره، جمع غفير من الناس المتطفلة يتهامسون عليه وجندي يجذبه من ذراعه بصرامة، صحافة بعدسات تصوير لتغطية الحدث وشقيق زوجة سابقة بمنصب مدعي عام لتكتمل مأساته... وقف الحاضرون عند دخول القاضي لتبدأ جلسة المحاكمة، افتتح جواد الجلسة بالقاء التهم على توفيق تبعه محامي الدفاع يبطل صحة اقواله مطالباً بالدليل، شعت عينا جواد بخبث وهو يستدعي الشاهد الرئيسي "ابراهيم الخليلي" الى منصة الشهود لي طرح عليه بعض الاسئلة، كانت اجاباته الهادئة تدل على قوة شخصيته ووقاره في حين انعكست سلبا على توفيق الذي بدأت علامات الرعب تبدو بوضوح

على وجهه، انتهى المدعي العام جواد من طرح الاسئلة
سانحا الفرصة لمحامي الدفاع بطرح اسئلته هو الآخر...
بدت اسئلته سخيقة نوعا ما لكن ابراهيم ظل على هدوئه
حتى حدث ما لم يكن في الحسبان...

الدفاع يتهمه بالجريمة والدليل بصماته على سلاح
الجريمة!!

الفصل الثامن

انقلبت الادوار فجأة ليصبح الشاهد قاتلا والقاتل ضحية، يبدو ان المحامي كريم قد ألف قصة وبدأ يعيش أحداثها فعلا بل ويصدقها، لا ينفك يردد ان بصمات الشاهد قد وجدت على سلاح الجريمة، استغرب جياذ من برود ابراهيم وعدم انفعاله على الرغم من توجه اصابع الاتهام اليه لكنه قرر انهاء المسرحية حالا، وقف منتصبا ليلعب آخر ورقة ستقلب النتيجة...

-كلام الدفاع منطقي جدا، يمكن ان يكون الشاهد ممثلا بارعا نجح في خداع الجميع بخطة محكمة بدقة...
ايد كريم كلامه بانتصار وهو يرى بداية اقتناع القاضي بالقصة، واصل جياذ كلامه قائلا:

-لكن الشرطة داهمت عنوانا آخر كان مسجلا في ورقة الضحية ووجدت مستندات تؤكد تورط المشتبه به...

شعر كريم بالقلق فيبدو ان الستائر ستسدل على توفيق في السجن ولا أمل في اثبات براءة هي ليست موجودة اصلا...

امر القاضي الحضور بالخروج ليتشاور مع زملاءه في الحكم بعد تفحص المستندات المقدمة لهم... جلس ابراهيم خارج القاعة بانتظار الحكم لكن سرعان ما اتجهت افكاره نحو تلك القصيرة التي غزت عقله مؤخرا... لمح يدا تمتد لمصافحته، فرفع راسه ليجد جياذ المدعي العام امامه، وقف مصافحا وابتسامة عملية تزين ثغره، بدأ جياذ الكلام بقوله...

-تشرفت بمعرفتك سيد ابراهيم واحبيك على شجاعتك، قمت بعمل لم يكن ليفعله غيرك...

-الشرف لي حضرة المدعي... لم اقم سوى بواجبي... لكن هناك شئ ما لا افهمه...

استغرب جواد من كلامه فحثه على المواصلة...

-الورقة كان بها عنوان واحد وهو عنوان صفقة المخدرات، فمن اين احضرت عنوان السندات اذا!!
اكتست ملامح جواد الجدية قائلا:

-عملنا يقتضي السرية التامة سيد ابراهيم...

وقبل ان ينطق بحرف اخر آتاهم صوت جندي يطلب منهم الدخول للاستماع للحكم فنظر الاثنان لبعضهما ودخلا مع البقية، وقف الجميع مترقبا قرار القاضي...

-بعد الاستماع للطرفين ودراسة الدلائل، تبين ان توفيق بيطر مذنب، وقد حكمت عليه المحكمة بالسجن المؤبد لقتله

ثمن باهظ

مواطننا اضافة الى صفقات المخدرات وتهريب تحف اثرية
واعمال اخرى غير قانونية...

اتسعت عينا توفيق بذهول وهو يستمع للحكم، فقد اعصابه
فانقض على ابراهيم يحاول ضربه لو لم يوقفه أحد الجنود
بالقاعة، فصرخ به متوعدا:

-ستدفع الثمن باهظا يا ابراهيم الخليي، اعدك...

اخرجه الجنود بصعوبة بالغة وهو يصرخ ويتوعد بالانتقام،
في هذه الاثناء كان جياذ يراقب ما يحدث بصمت متسائلا
عن سر هدوء ابراهيم الذي بدأ يستفزه شخصا...

* * * *

رنت الجرس بعصبية مرات متتالية ولا رد، ضربت الباب
بقدمها وهي تلعن كعادتها، فتح الباب اخيرا وظهرت خلفه
فتاة تبدو في نهاية العشرينيات تسألها عن هويتها، رفعت
فاتن حاجبها متسائلة عن هوية من امامها ثم ابعدها لتدخل

ثمن باهظ

دون التفوه بحرف واحد، علا صوت الانسة بغضب قبل ان تجذبها من ذراعها بقوة كادت تسقطها ارضا:

-من انت وكيف تدخلين من دون اذن!!

وقفت فاتن امامها وقد بدأ الغضب يتسلل اليها وقبل ان تعرف بنفسها جاءها صوت حسين مرحبا:

-فاتن اهلا بالغالية، نورت المكان بحضورك...

اتجهت فاتن لتسلم عليه في حين راقبت الفتاة ما يحدث من دون فهم، في هذه الاثناء خرج ادم من غرفته بمنامة مضحكة وعيون شبه مغلقة، غضبت فاتن من مظهره فصاحت فيه:

-الا تزال نائما!! موعد الطائرة اقترب

ادعى عدم سماعها وراح يطلب من سناء اعداد الفطور له...

ثَمَنٌ بَاهِظٌ

نظرت فاتن الى هذه المدعوة سناء وقد اتضحت الرؤية
امامها، يبدو انها الخادمة الجديدة، لكنها سرعان ما تذكرت
سبب مجيئها فعادت تصرخ بنزق:

-ادم ان لم تجهز نفسك في غضون خمس دقائق فلن ترى
وجهي مرة اخرى...

اجابها ادم بنبرة مغيظة:

-حقا!! اتعدينني انني لن اراك مرة اخرى!!

رمقت حسين بنظرات مستنجدة عله يتدخل وكان لها ما
ارادت:

-ادم فلتجهز نفسك للذهاب الى المطار حالا طائرة والدتك
واختك ستصل بعد قليل...

-زفر ادم بضيق وهو يتوعد فاتن ثم قال مخاطبا حسين
بحزن مصطنع:

-هل انت والدي ام وهالدها!!

تكلم حسين بنظرة صارمة جعلته ينتفض مكانه بسرعة
ويدخل ليغير ملابسه فغضب والده مخيف خاصة اذا تعلق
الامر بأخته...

* * * *

جلس في شرفة شقته يحتسي قدحا من القهوة المفضلة
لديه ورأسه شارد، لقد تغيبت عن المحاضرة مرة اخرى،
اهي بخير!! ام انها مستهترة فقط، ايمكن انها قضت يومها
مع ادم!! ومن يكون ادم اصلا!! هل هما على علاقة
ببعضهما!! تبا اسئلة كثيرة ولا اجابة... قطع سيل افكاره
صوت الجرس الذي يعلن عن وجود زائر، استغرب من
يمكن ان يزوره ليلا فقام ليفتح الباب... جحظت عيناه
بدهشة وهو يرى احمد برفقة زوجته حياة وابنه مصطفى،
فتح احمد ذراعيه ليعانقه مرددا بمرح:

-الن تدعونا للدخول على الاقل!!

افسح ابراهيم لهم الطريق للدخول ثم حمل مصطفى برفق
يقبله...

-كيف حالك يا بطل!!

اخرج مصطفى حبات حلوى قائلا ببراعة:

-انظر ماذا احضرت لك من سفري يا عم...

طبع ابراهيم قبلة دافئة على وجهه وهو يأخذ الحلوى منه
قبل ان يسمع صوت احمد المزعج مجددا:

-هذه الحلوى مكلفة جدا، سأخضمها منك لاحقا...

وكزته حياة بمرفقها مؤنبة فادعى عدم الفهم قائلا:

-ماذا تريد الان!!

انتبه ابراهيم انه لم يسألها على حالها فوجه كلامه اليها:

ثمن باهظ

-كيف حالك حياة!! وكيف كان السفر...

قاطعهم احمد مرة اخرى بغيرة مصطنعة:

-جد زوجة لك واسألها عن حالها، ما شأنك بزوجتي يا
اخي...

ابتسمت حياة مجيبة:

-بخير الحمد لله ماذا عنك!!

قرر ابراهيم العبث بأعصاب صديقه قليلا...

-بأفضل حال بعد رؤيتكم...

قذفه احمد بمزهرية كانت الى جانبه استطاع هذا الاخير
تفاديها في اخر لحظة...

-قلت لك جد زوجة وغازلها كما تريد، لكن اترك زوجتي
وشأنها...

جملة احمد جعلته يتذكر فاتن فسأله بحذر:

ثمن باهظ

-متى ستعود الى العمل بالمناسبة!!

زفر بملل قائلا:

-دعني التقط انفاسي يا اخي، لا تقلق سأعود بعد غد...

قاطعہ ابراهيم بلهفة:

-لا داعي لذلك، لابد انك متعب من عناء السفر، فلتسترح

لمدة اسبوع او اكثر ان اردت...

ضيق عينيه متفحفا ثم سألہ:

-هل انت بخير!! ابدات تتعاطى المخدرات!!

مط شفتيه بانزعاج مجيبا:

-فلتعد غدا اذا، وما شأني انا...

لوح احمد بيديه بانفعال:

-لا لا.... سأستريح لاسبوع ونصف ان كنت لا تمانع طبعاً...

ثمن باهظ

هز ابراهيم رأسه موافقا وهو يتمنى لو يستطيع تمديد المدة
اكثـر...

* * * *

هم بفتح باب المنزل فسمع اصوات ضحك بالداخل، دلف الى
قاعة الجلوس حيث مصدر الاصوات فوجد عائلته جالسة
مع عائلة العم حسين ووفاء معهم، برقت عيناه برقـة لدى
رؤيتها لكن سرعان ما رسم ملامحه المرححة على وجهه
قائلا:

-هل تم تغيير مقر مجلس الامم الى هنا!!

التفت الجميع اليه محييا فجلس بينهم دون النظر الى وفاء
التي شعرت بالغـيظ لتجاهله لها...

-كيف حالك جيد!!

-اه انت هنا!!

ثمن باهظ

وواصل بمكر وهو يرى غضبها:

-اكنت في مستشفى ام في اسطبل للبقر ليفيض وزنك بهذه
الطريقة!!

قهقه ادم عاليا وهو يقول:

-اتعلم يا جياد، حتى انا ذهلت حين رايتها هذا الصباح لكنني
خفت ان اعلق فأحلق مع الطائرة الى وجهة غير معروفة...

احتقنت الدماء في وجه وفاء وهي تستمع لاستهزاء اخيها
وجياد، هبت واقفة فجأة وعيناها مغرورقتان بالدموع،
غادرت الصالة وتبعتها فاتن بعد ان رمقت كلاهما بنظرة
غضب في حين اكتفى الكبار ما يحدث بعيون صامتة...

الفصل التاسع

مر يومان منذ عودة وفاء من السفر، يومان ثرثرتا فيهما بلا توقف، اخبرتها عن استاذها الموقر والحرب الباردة التي تدور بينهما، كانت وفاء تتابع القصة بحماس شديد وهي تشجع صديقتها على مواصلة حيلة الشد والجذب لا غاظته، كما استمعت فاتن لمغامراتها الشيقة حين كانت تتعالج في المستشفى...

واليوم يجب ان تذهب الى الجامعة فقد فوتت ما يكفي من الحصص خاصة تلك التي مع الاستاذ ابراهيم، جهزت نفسها واتجهت الى القاعة حين لمحته واقفا امام الباب يحيي الطلاب بابتسامته المشرقة، رآها قادمة فاستغرب

ثُمَّنْ بَاهِظْ

عدم وجود ادم معها، ألقت السلام وهمت بالدخول
فاستوقفها قائلاً:

-نورت يا انسة...

توقفت في مكانها دون النظر الى وجهه بانتظار ما
سيقوله...

-حصتي ليست سوقا تدخلين وتخرجين بحسب مزاجك...

هتفت بداخلها بسخرية:

-كنت تقول سينما والان سوق!! ماذا سيكون في المرة
القادمة... فندق!!

راى ملامحها الساخرة فقال بلهجة حازمة:

-اعتبري نفسك مقصية ان تغيبت مرة اخرى...

اندهشت من صرامته مرددة:

-لكن يا استاذ...

ولم تكمل جملتها فقد تركها ودخل القاعة، اغمضت عينيها
تحاول التهدئة من روعها فهي تعلم جيدا انه سينتقم منها
منذ البداية...

* * * *

دفعه الحارس داخل الزنزانة المظلمة بقسوة، وقف في
وسطها يتأمل ذلك الضوء الخافت يجلس فيه رجل يبدو في
الاربعينيات من عمره، وضع منامته على السرير فجاءه
صوت الرجل الصارم:

-ذلك مكاني فلتنم على الفراش الآخر...

حمل منامته مرة اخرى واتجه نحو السرير الآخر بهدوء،
جلس عليه فوجده قاسيا غير مريح، بدأ يلعن ويشتم
بصوت خافت والرجل الآخر يراقبه بصمت، أخرج قلم
رصاص قام باخفائه جيدا عن أعين الحرس ثم اتجه نحو

ثُمَّنْ بَاهِظْ

الحائط ينحت اسما لا يجب ان ينساه، لم ينتبه للرجل
الفضولي خلفه وهو يقرأ ذلك الاسم بدهشة:

-ابراهيم الخليلي!!

التفت اليه بغضب لتطفله لكن الآخر لم يهتم لنظرته بل
سأله بسخرية:

-هل هو من ارسلك الى هنا ايضا!!

ضيق توفيق عينيه محققا به:

-اتعرفه!!

تنهد الرجل بضيق مجيبا:

-انا اتعفن هنا منذ خمس سنوات بسببه...

التمعت عينا توفيق بمكر وهو يرى طوق النجاة يمتد اليه...

-اسمي توفيق... وكما يقولون عدو عدوي من يكون!!

ابتسم الرجل بمكر وهو يكمل المثل:

-عدو عدوك صديقك... اسمي عمر...

تصافح الصديقان الجديدان بلهفة وكلاهما ينوي الانتقام من
المدعو "ابراهيم الخليلي"

* * * *

جلست في حديقة الجامعة تشرب قهوتها وتطالع الجريدة
حين وقعت عيناها على عنوان شد انتباهها "السجن المؤبد
لقاتل زميله في صفقة مخدرات" عادت بذاكرتها الى آخر
يوم قضته في منزل توفيق حين دخل في حالة سكر كعادته،
لم ينتبه لوجودها في الشرفة فأخرج هاتفه ليتصل بصديق
له، كانت كلماته تدل على انه متورط في عملية تهريب
للمخدرات، جحظت عيناها برعب وهي تستمع الى ما
يقوله، اما هو فقد جن جنونه حين رآها في الشرفة ظنا منه
انها تتنصت عليه، امسكها من شعرها بقوة وهو يسب

ثمن باهظ

ويشتم باقذر الصفات ثم هوى على وجهها بصفعة تركت
اثار اصابعه بوضوح، بكت كما لم تبك من قبل، ثم اتخذت
قرارا حازما هذه المرة بالانفصال عنه الى الابد فيكفيها ما
ذاقته معه من الم حتى الان... انتبهت لوجود زوج من
العيون تنظر اليها فرفعت وجهها لتجد الاستاذ ابراهيم
امامها، تتحننت بحرج طالبة منه الجلوس معها، فبادر
بالكلام قائلا:

-اذواقنا في القهوة نفسها...

ابتسمت برقة وهي تجيب:

- لو كنت اعلم ذلك لاشتريت كوبين...

ابراهيم متسائلا:

-هل انهيت دوامك!!

-ليس بعد، امامي خمس دقائق قبل موعد محاضرتي القادمة، ماذا عنك!!

-انهيت دوامي فأردت شراء قهوة اريح بها رأسي...
هزت رأسها بتفهم ثم اعتذرت منه للحاق بطلبتها في حين ذهب هو لشرب قهوته...

* * * *

في اليوم التالي كانت فريدة تتابع عملها في الجمعية كعادتها فدخلت عليها مساعدتها حياة مع ابنها مصطفى،
التف الجميع حولها مرحبين بها بعد هذا الغياب الطويل وهم يطبعون قبلا حارة على وجه الصغير... باشرت حياة عملها محاولة تعويض فترة غيابها وتركت مصطفى يلعب في حديقة الجمعية... انتبهت فريدة لعدم وجود بعض الوثائق فاتصلت بابنتها فاتن التي لا تزال في المنزل تطلب

منها تفقدهم، وبعد مدة قصيرة اخبرتها انها وجدتهم في
غرفتها...

-هل بامكانك احضارهم الى مقر الجمعية من فضلك!!
نظرت فاتن الى ساعتها ثم اجابتها بالموافقة فلا يزال هناك
متسع من الوقت امامها... اغلقت فريدة الخط شاكرة ثم ما
لبثت ان سمعت صراخ حياة، قامت من مكانها بسرعة
متجهة نحوها فوجدتها جالسة تبكي بهستيرية قائلة:
-مصطفى اختفى... ضاع ابني...

الفصل العاشر

قادت سيارتها بسرعة متخطية كل السيارات نحو جمعية والدتها، وصلت الى منعطف حاد فاضطرت الى تخفيف السرعة وبينما هي كذلك لمحت طفلا صغيرا فاقتدا الوعي الى جانب الطريق، توقفت مباشرة وسارعت اليه تساعد، كانت هناك دماء على وجهه بدت وكأنها بسبب سقوطه، حملته السيارة بسرعة وحولت اتجاهها الى المشفى لاسعافه، دخلت به قسم الاستعجال تطلب المساعدة فجاءت ممرضة تبعها طبيب يبدو عليه الوقار، بأصابع مدربة خاط الجرح ووقف النزيف، اخبرها انه بخير ويجب الانتباه اليه اكثر، شكرته على خدمته وجلست الى جانب الصغير تتأمل ملامحه الملائكية، ظلت تفكر في ما ستفعله به الآن، أتأخذه

ثمن باهظ

الى قسم الشرطة ام الى المنزل، الشرطة يمكن ان تهمله وحالته الصحية لن تتحمل، حسمت امرها بأخذه الى جمعية امها فهي جمعية اطفال على اية حال وهناك سيقدمون له الاهتمام اللازم، دفعت تكاليف العلاج ثم حملت الصغير برفق بين ذراعيها متجهة نحو الجمعية، وبعد مدة قصيرة شعرت بالطفل الصغير يستيقظ، التفتت الى المقعد الخلفي فوجدته ينظر اليها بأعين حائرة وخائفة، ابتسمت بحنان وهي توقف سيارتها للتحدث اليه...

-مرحبا يا صغير ما اسمك!!

بنبرة تميل الى البكاء اجابها:

-اريد امي...

-اين هي امك!!

-امي في العمل...

-واين تعمل!!

بدا وكأنه سنفجر بالبكاء قريباً...

-امي تعمل في العمل...

تأملته بتفكير ثم قالت:

-سنذهب للبحث عن امك لكن ما رأيك ببعض الحلوى قبل ذلك!!

ارتفع صوت بكاء الصغير وهو يردد امي امي، هتفت فاتن في داخلها بحنق:

-هذا ما كان ينقصني، طفل مزعج...

حاولت تهدئته لكن دون جدوى، استمر بالبكاء والصراخ دون توقف فصرخت بلا وعي:

-اصمت، ان لم تسكت الآن فسأتركك الى جانب الطريق لتأكلك الوحوش...

ثمن باهظ

شعر بالخوف من كلماتها فتوقف مباشرة وعيناه تنطقان
بالرعب، سألته بنبرة صارمة:

- ما اسمك!!

اجابها بتلعثم:

- م... مص... مصطفى...

- اسمعني يا مصطفى سأبحث لك عن امك لكن حافظ على
هدوءك، اتفقتا!!

او ما برأسه الصغير ان نعم وجلس بأدب...

* * * *

ارخى جسده على كرسي مكتبه بعد مغادرة طلابه وهو
يتأمل كرسيها الشاغر، تغيبت بعد يوم واحد من التحذير،
هل تتحداه ام أنها تضرب بكلامه عرض الحائط!! يبدو ان
الوقت قد حان لتأديبها، سينفذ ما وعدها به، لن تدرس مادة

الهندسة هذا العام، ابتسم بنشوة وهو يتخيل شكلها حين يعلمها بقراره، بمن ستتصل هذه المرة يا ترى!! بالشرطة ام بالقضاء!! ام أنها ستطلب مساعدة المخابرات السرية!! وفجأة اضاءت شاشة هاتفه باسم حياة فاستغرب ثم ضغط زر الاجابة لسمع صوتها المرتجف يقول بصعوبة:

-مصطفى... مصطفى ضاع يا ابراهيم... حاولت الاتصال بأحمد لكن هاتفه مغلق... ضاع ابني...

حاول تهدئتها قائلاً:

-اخبريني ماذا حدث بالتفصيل!!

-تركته يلعب في حديقة الجمعية وعندما عدت لم اجد... ابراهيم تصرف ارجوك... اعد لي ابني...

اجابها بنبرة مطمئنة:

-لا تقلقي حياة، اعدك ان اعيد لك ابنك سليماً معافى...

ثُمنُ باهظ

حمل محفظته وخرج مسرعا نحو العنوان الذي اعطته اياه
حياة دون التوقف عن الاتصال بأحمد...

* * * *

خرج جياذ من قاعة المحكمة بصحبة صديقه ايهاب الذي
بدا وكأنه يريد افتتاح موضوع ما لكن تردده منعه من ذلك،
حاول جياذ اخراجه من حيرته فقرر دعوته الى الجلوس
على شاطئ البحر لتناول السمك المفضل لديه، انقاد ايهاب
خلفه بصمت وهو يحاول ايجاد الكلمات المناسبة...

-ماذا هناك!! ما الذي تريد اخباري به!!

ارتبك اكثر وهو يجيب:

-جياذ انا... انا اريد التقدم لطلب يد شقيقتك...

علت الدهشة وجهه بعدما قاله صديقه...

-لكن دلال لم تنته عدتها بعد....

اجابه بلهفة:

-سأنتظر، المهم ان توافق...

شعر جياذ بالحيرة فدلّال حتما لن تقبل وصديقه يريدّها
بشدة وهو يتمنى فعلا لو يستطيع ايهاب الوصول اليها، يثق
انه سيعوضها وينسيها ما فات، هو يحب شقيقته وتعامله
القاسي معها ليس سوى تعبير عن غضبه منها لكنه يتمنى
من اعماق قلبه ان تجد رجلا يسعدها وايهاب هو افضل
شخص للقيام بذلك...

ربت على كتف صديقه برفق قائلا:

-اعدك ان اتحدث اليها في اقرب وقت...

* * * *

نزلت من السيارة تجر الصغير مصطفى من يده لتدلف الى
مقر جمعية والدتها وكلها امل ان تجد لها حلا لمشكلتها،

لاحظت اجتماع النسوة في قاعة حول سيدة تبكي بهستيرية، حاول مصطفى الكلام فنهرته ليصمت وتخطتهم الى مكتب والدتها، امرته ان يقف امام المكتب وفتحت الباب لتدخل، رأتها جالسة على كرسيها الوثير تمسد رأسها بتعب...

-ماما هل انت بخير!!

رفعت فريدة عينيها اليها بارهاق قائلة:

-هناك مشكلة تخص مساعدتي...

-ما بها!!

ردت فريدة بحزن...

-المسكينة فقدت ابنها منذ ساعتين والشرطة تقول يجب الانتظار لمدة اربع وعشرين ساعة لتبدأ عملية البحث... وقبل ان تتفوه بحرف واحد سمعوا صرخة حياة...

-مصطفى...

التفتت فاتن خلفها فرأت حياة تجري نحو الصغير، جثت على ركبتها واخذته في حضنها تقبله بحرارة ودموعها تنهمر بغزارة، لم تكن حياة الوحيدة التي تبكي فقد دمت عيون جميع الحاضرين تأثرا بهذا المشهد المؤثر باستثناء فاتن التي تابعت ما يحدث ببرود...

هدأت اعصاب الام بعد مدة فوقفت تشكر فاتن على هذا المعروف الذي لن تنساه طوال حياتها، عانقتها عناقا طويلا يعبر عن امتنانها الكبير لها ثم حملت صغيرها وعادت الى مكتبها...

اما فاتن فقد جلست على اريكة وهي تزفر بحنق، سألتها والدتها عن المشكلة فقالت:

-فوتت محاضرة مهمة اليوم...

عقدت فريدة حاجبيها باستغراب، منذ متى تهتم ابنتها بالانضباط في دراستها ففسرت فاتن دهشتها بقولها:
-الاستاذ رجل مغرور، حذرني من التغيب معه لكنني لم استطع الذهاب اليوم بسبب الصغير...

ملست على شعر ابنتها بحنان وهي تقول:
-اشرحي له موقفك وسيتفهم بالتأكيد...

هزت فاتن رأسها بملل:

-انت لا تعرفينه امي، انه شخص لا يعرف معنى التفهم، يستمتع باهانة غيره بسبب او بلا سبب... باختصار انه سافل...

في هذه الاثناء كانت حياة واقفة على الباب فاستمعت للحديث الذي دار بين فريدة وابنتها وقررت طلب المساعدة

ثُمَّنْ بَاهِظْ

من زوجها ليتحدث الى هذا الاستاذ السافل علّه يعدل عن
قراره...

الفصل الحادي عشر

هم بدخول الجمعية فلمح سيارة احمد تقترب، عاد بضع خطوات للوراء ليقول بصوت مرتفع:

-اين انت يا رجل!! لماذا هاتفك مغلق!!

استغرب احمد وجوده في مكان عمل زوجته فرد باستفسار:

-انتهى شحنه فقامت باطفائه... لكن ما الذي اتى بك الى

هنا!!

شعر ابراهيم بالحيرة في كيفية اخبار صديقه بضياع ابنه الوحيد...

-احمد اريدك ان تهدأ ولا ترتعب مما سأقوله الان...

تسارعت دقات قلب احمد مما يسمعه فسأله بلهفة:

-حياة... هل هي بخير!! هل اصابها مكروه!!

-لا تقلق حياة بخير... لكن مصطفى...

قاطعہ احمد برعب:

-ما به مصطفى...

ابراهيم بنبرة حزينة:

-اعلمتني حياة انه اختفى من حديقة الجمعية، لكن...

انطلق احمد الى الداخل كالاعصار ولم ينتبه حتى للسيدة
العجوز التي سقطت اثر ارتطامه بها، ارتفع صوت انين
السيدة قائلة:

-هل انت اعمى!!

لم يلتفت احمد اليها بل واصل طريقه نحو مكتب حياة،
سارع ابراهيم لمساعدة السيدة الطاعنة في السن وهو
يقول:

ثمن باهظ

-اعذريه من فضلك فظروفه صعبة...

نظرت العجوز اليه بامتنان مرعدة:

-فليبارك الله بعمرك بني وليفك كربة اخيك...

هز ابراهيم راسه بتمني:

-آمين... آمين...

في هذه اللحظة وصل احمد الى مكتب حياة فصفع الباب بقوة، فوجئ بوجود مصطفى معها فظن انها لعبة قذرة من ابراهيم، عاد ادراجه فوجده قادما نحوه وعلامات الخوف بادية على وجهه:

-هل من اخبار عن مصطفى!!

رمقه احمد بسخرية:

-هل انت مصمم على اخذ جائزة الاوسكار هذه السنة!!

لم يفهم ابراهيم عما يتحدث احمد فرمقه بنظرات متسائلة،
تدخلت حياة لفض المشاحنة مخاطبة احمد:

-مصطفى اختفى هذا اليوم وقد حاولت الوصول اليك لكن
هاتفك كان مغلقا فاتصلت بابراهيم...

سألها ابراهيم باستغراب:

-وكيف عاد لوحده!!

حياة بامتنان:

-شاء القدر ان تجده ابنة صاحبة الجمعية مصابا على
قارعة الطريق، اسعفته واحضرته لأمها لتساعدتها في
ارجاعه الى اهله...

احمد بتفكير:

-اين هي يجب ان نشكرها على صنيعها...

ثمن باهظ

-مع الاسف لقد غادرت منذ خمس دقائق، لكن بإمكانك شكر والدتها بدلا عنها...

انقاد احمد و ابراهيم خلفها باتجاه مكتب السيدة فريدة، طرقت الباب واطلت برأسها لتستقبلها فريدة بابتسامة حانية سامحة لها بالدخول، دخلت حياة يتبعها احمد في حين فضل ابراهيم الانتظار في الخارج وبعد مدة ليست بالقصيرة خرجت فريدة تودعهم فلمحت ابراهيم الجالس على الاركة...

-سيد ابراهيم!! اهلا اهلا...

وقف ابراهيم يحييها بوقار فتعجبت حياة من طبيعة العلاقة بينهما، اجابتها فريدة بحماس:

-السيد ابراهيم من اكبر الممولين لنا وهو الذي يمثلنا في الخارج منذ ثلاث سنوات، لكنه فضل عدم الافصاح عن هويته امام اي احد...

ثُمَّنْ بَاهِظْ

وضعت فريدة يدها على فمها وهي تتذكر انه طلب منها الا
تخبر احدا عن مساعداته وتبرعاته للجمعية...

ردد ابراهيم في داخله بحنق:

-الا تستطيع النسوة الاحتفاظ بالاسرار الى هذه الدرجة!!

حاولت فريدة تقديم اعتذارها رغم توترها وارتباكها
الظاهرين لكن انزعاجه بدا جليا على وجهه ففضل
المغادرة...

* * * *

طرقت الباب بعصبيتها المعتادة، فتحت سناء الباب ورمقتها
بنظرة عتاب لم تكثرث لها، دخلت المنزل بغضب قائلة:

-ادم موجود!!

اجابتها سناء بملل:

-في غرفة وفاء...

رمقت سناء بنظرة محذرة وصعدت الى غرفة وفاء، دخلت
دون استئذان ووقفت امام ادم الغارق في احد العاب
الفيديو...

-هل سال الاستاذ ابراهيم عني!!

ابتسم ادم بسخرية قائلا:

-ومن تكونين حتى يسأل عنك!!

نزعت فاتن قابس الكهرباء بعنف فهب ادم واقفا بغضب:

-ما الذي فعلته يا مجنونة!!

فاتن بغضب مماثل او اشد:

-اخبرتكَ الف مرة ان تعيرني انتباهك حين اكلمك...

اطلق ادم صفيرا ساخرا:

-ما رايك لو افرش لك الارض وردا في المرة القادمة التي

تكلميني بها!!

ثمن باهظ

اشتد غضب فاتن فوقفت وفاء بينهما...

-ما خطبكما انتما الاثنان!! لماذا تتشاجران كالاطفال!!

فاتن بانفعال:

-اسألي اخاك المحترم...

اعاد ادم قابس الكهرباء وجلس يكمل لعبته في حين امسكت

وفاء بيد فاتن واجلستها على طرف الفراش:

-ما المشكلة فاتن!! لماذا تبدين متوترة...

اخذت فاتن نفسا عميقا محاولة التهدئة من روعها...

-لقد تغيبت مرة اخرى مع الاستاذ ابراهيم...

شهقت وفاء بفرع:

-اهذا يعني انك لن تتمكني من حضور محاضراته مرة

اخرى!!

اومات فاتن براسها فالتفت ادم اليهما قائلا بجدية:

-اتعلمين فاتن!! الاستاذ ابراهيم هو الوحيد القادر على
ترويضك...

ارتفع صوت فاتن الغاضب من جديد:

-اتقصد انني حيوان!!

حرك ادم راسه نفيا:

-ليس حيوانا فقط بل حيوانا متوحشا...

لم تجد فاتن ما تقذفه به سوى الهاتف بيدها، ارتطم براسه
بقوة فصرخ متألما:

-ساقاضيك يا متوحشة... سأجعلك تندمين على فعلتك...

انفجرت وفاء ضاحكة في حين حملت فاتن حقيبتها وفتحت
الباب لتغادر، فوجئت بوجود سناء تتنصت خلف الباب فجئن
جنونها، رمقتها بنظرة محذرة مرة اخرى قائلة:

-هذه المرة الثانية، في المرة القادمة ستجدين نفسك خارجا
بحثا عن عمل جديد...

واصلت طريقها تاركة سناء خلفها تتخبط داخل مشاعر
مختلطة من الخوف والكره...

* * * *

في اليوم التالي كانت دلال تجلس برفقة جمانة في الجامعة
بعد انتهاء دوامهما، اترفع صوت هاتفها فترددت في الرد،
لاحظت جمانة ذلك فسالتها عن هوية المتصل...
-جياذ...

استغربت جمانة ذلك ايضا فشقيقها لم يتصل بها ولا مرة
منذ زواجها من توفيق...

-الو... مرحبا جياذ...

-انا امام الجامعة، اخرجي لملاقاتي ان انهيت عملك...

اغلق الخط مباشرة فحملت دلال حقيبتها بسرعة وودعت
صديققتها لتلحق بشقيقها، وقفت امام سيارته والحيرة بادية
على وجهها...

-اصعدي... سأوصلك الى المنزل اليوم...

دلال:

-لكن سيارتي معي...

جياذ بصرامة:

-سيأتي احد العاملين لاختذها...

استقلت سيارته بقلّة حيلة والاف سؤال يدور بذهنها...

-اعلم انك مستغربة من سبب قدومي...

رفعت عيناها الحائرتين اليه فاسترسل:

-دلال تعلمين جيدا مكانتك وفاتن في قلبي، سعادتكما غايتي

ومهما حدث بيننا لا يمكن ابدا ان اكرهكما او ان اخذلكما...

زادتها كلماته حيرة، عن اي سعادة يتحدث وما سر هذه
الخطبة الطويلة!!

-دلال، ايهاب يريد ان يتقدم لطلب يدك...

فهمت الان سبب هذا التودد، هذا هو جياذ ينسى كل شئ
من اجل مصلحة صديقه ايهاب، لكنها غير مستعدة، لا تريد
الارتباط باي رجل، يكفيها ما عانتها حتى الآن، قلبها لن
يتحمل ندبة اخرى، لماذا لا يستطيع الجميع فهمها، لماذا
يدفعونها دفعا لربط حبل المشنقة حول عنقها من جديد...
راى جياذ تخطبها في افكارها فحاول انتشالها منها...

-دلال، اعلم ان الامر كان صعبا عليك، لكن صدقيني ايهاب
مختلف، ايهاب يريدك وهو مستعد ان ينتظرك العمر كله،
فكري عزيزتي، فكري مليا، لكن لا تعاقبيه على ذنب اقترفه
غيره...

ثُمنُ باهظ

آثرت الصمت على الاجابة فتفهم حالها وقرر تركها لتفكر
باريحية...

* * * *

ركبت السيارة بجانب زوجها وموضوع فاتن لا زال يشغل
بالها...

-احمد... اتذكر ابنة السيدة فريدة التي انقذت مصطفى!!

احمد بتذكر..

-نعم اذكرها...

حياة برجاء:

-انها طالبة بنفس الجامعة التي تعمل بها، سمعتها تخبر
والدتها ان استاذها سيقوم بفصلها بسبب تغيبها حين انقذت
مصطفى...

-لابد انها تغيبت كثيرا حتى يقوم بفصلها...

قاطعه حياة برحاء اكبر:

-لكنها انقذت ابننا، الا تستطيع التكلم مع هذا الاستاذ
ليسامحها، اصلا هي طالبة هندسة اي انك تعرف استاذها
بالتاكيد...

نظر اليها متفحصا:

-ومن يكون استاذها!!

-لا اعلم، كل ما اعرفه انه مغرور...

ابتسم احمد بسخرية:

-كل الاساتذة مغرورون بنظر الطلاب...

وضعت حياة كفها على ذراعه تتأمله ببراعة مصطنعة...

-السنا ذاهبين للقاء ابراهيم في الجامعة!! ماذا ستخسر لو

طلبت منه مسامحتها!! نحن ندين لها بحياة ابننا...

زفر احمد بملل:

-حياة، نحن حتى لا نعرف اسم هذا الاستاذ وبالتأكيد لن نبحث عن هذه الطالبة بين ذلك الكم الهائل من الطلاب...

التمعت عينا حياة بمكر وهي تقول:

- لقد احضرت رقم هاتفها من والدتها، لن نضطر الى البحث عنها...

اطلق احمد صفيرا عاليا مرددا بقلة حيلة:

-ان كيدكن عظيم...

وصل احمد وزوجته الى الجامعة فوجدا ابراهيم بانتظارهما، ترجل احمد لمصافحته في حين اتصلت حياة بفاتن التي بدت دهشتها واضحة لكنها وافقت على الالتقاء بها في موقف السيارات... ظل احمد يكلم صديقه في موضوع خاص بينهما وبينما هما كذلك ظهرت فاتن من بعيد، تابعها ابراهيم بعينه فلاحظ تقدمها نحوهما، ظن انها

ثمن باهظ

ستطلب منه مسامحتها لكنها تخطته لتسلم على حياة،

جذبتها حياة برفق لتعرفها على زوجها:

-احمد زوجي وهذا ابراهيم صديقه، كلاهما سيساعدانك

على حل مشكلتك...

عقدت فاتن حاجبيها باستغراب...

-اي مشكلة تقصدين!!

حاولت حياة رفع الحرج عنها قائلة:

-سمعتك حين اخبرت والدتك عن استاذك المغرور الذي هدد

بفصلك في حالة تغيبت عن محاضراته...

احتقن وجه فاتن بالدماء في حين ارتفع حاجب ابراهيم قائلا

باستفهام:

-مغرور!!

واصلت حياة كلامها بتلقائية:

ثمن باهظ

-هذا ما سمعتها تقوله، مغرور ويتلذذ باهانة غيره اضافة

الى انه لا يتفهم ظروف طلابه...

لم يحد ابراهيم بصره عن فاتن التي كاد يغمر عليها حين

سمع كلمة حياة الاخيرة:

-لقد قالت باختصار انه سافل...

الفصل الثاني عشر

ابتسم وهو ينظر اليها، تبدو كالمغشي عليها من الموت،
حتى احمد وحياة لاحظوا شحوبها، اقتربت حياة منها قائلة:
-هل من مشكلة فاتن!! تبدين شاحبة...

ابتلعت ريقها بصعوبة محاولة التحكم في انفعالاتها، تدخل
ابراهيم ليهون الامر عليها بابتسامة ماهرة:

-اخبريهم من يكون هذا السافل فاتن... اه عفوا اقصد هذا
الاستاذ...

رمقته بنظرات خاوية لم يفهم معناها، كان احمد وزوجته
ينتظرون اجابة لكن لا فائدة، تنحنح ابراهيم قليلا ليكمل
حديثه بخبث:

ثمن باهظ

-احمد... فائن تنتمي الى احد افواجك التي توليت انا
تدريسها...

اتسعت اعينهما بذهول غير مصدقين ما يقول ثم سالتة حياة
ببلاهة:

-اتقصد انك هذا السافل!!

انتبهت لما تقوله فاستدركت الموقف:

-اقصد انت استاذها!!

هز ابراهيم راسه مؤيدا:

-بشحمه ولحمه...

والتفت الى فائن التي اكتست وجنتاها اللون الاحمر من
الخجل ليكمل:

-بامكانك العودة الى الفصل غدا باذن الله...

رمقته بنظرات ساخطة قائلة بثبات:

-لست بحاجة لتعاطفك...

ثم خاطبت حياة وزوجها:

-شكرا لمحاولتكما مساعدتي لكنني لست بحاجة اليها،

بامكاني حل مشاكلي بنفسي...

استدارت مغادرة فسمعت صوته مرة اخرى:

-فاتن اياك والتاخر غدا...

لم تعلق فقط غادرت بهدوء لا يعكس ما يدور بداخلها،
سارت نحو سيارتها تسب وتشتتم في سرها، لقد اصبح هذا
الابراهيم لعنة تطاردها في كل مكان والاسوا انه دائما ما
يسمع كلماتها البذيئة، اي حظ هذا!! اتصلت بوفاء لتخبرها
عما حدث فهي بحاجة لافراغ شحنات الغضب بداخلها،
اتفقتا على الالتقاء في مطعمهم المفضل فقادت سيارتها
راجية الا تجد شبحه هناك...

في سيارة احمد كان الصمت سيد الموقف، كلاهما يفكران فيما حدث بطريقته الخاصة، قطعت حياة الصمت بقولها:
- اردت تقديم المساعدة للمسكينة فورطتها في مشكلة اكبر،
ابراهيم لن يمرر لها ما قالت به بساطة...

رد عليها احمد بجدية:

-اولا هي ليست مسكينة، ثانيا يجب ان يكون هذا درسا لك
لتكفي عن حشر انفك فيما لا يعنك، ثالثا ابراهيم لن
يؤذيها...

تجاهلت حياة اول ملاحظتين واكتفت بالتعليق على الثالثة...

-كيف تعلم انه لن يؤذيها!! الم تسمع ما قالت عنه!!

اتكأ براسه على مقعد السيارة قائلا بثقة:

-الم تلاحظي نظراته اليها!!

ثمن باهظ

- اتقصد انه ليس غاضبا منها!!

ابتسم احمد بنصر:

- ابراهيم لم يهتم يوما بتغيب طلبته عن صفه، الا تجدين

الامر غريبا ان يحذر فاتن دون غيرها!!

سكتت حياة لعدة دقائق ثم سألته بحذر:

- اتقصد انه يحبها!!

هز راسه نافيا:

- ليس تماما، لكنها ليست مجرد طالبة لديه، ولن استغرب

ان احبها...

ضربت حياة كفا بآخر كمحقق اكتشف دليلا يدين به

الجاني...

- لهذا طلب منك تمديد اجازتك، لا يريد ان يبتعد عنها

صحيح!!

ثمن باهظ

ابتسم احمد بمكر وهو يلتقط هاتفه ليؤكد شكوكه، شغل
مكبر الصوت واجرى الاتصال...

-ابراهيم كيف الحال!!

ابراهيم باستغراب:

-الم نكن مع بعض منذ لحظات!!

ضحك احمد مجيبا:

-ماذا افعل ان كنت لا تستطيع الابتعاد عنك!!

ابراهيم بملل:

-ماذا تريد احمد!!

احمد بجدية:

-اريد طلابي...

تسارعت دقات قلب ابراهيم وهو يستمع لصديقه...

-لكن اجازتك لم تنته بعد...

-اشعر بالملل من الجلوس في المنزل لذلك قررت العودة
غدا صباحا...

صاح ابراهيم بانفعال:

-لماذا العجلة يا رجل!! انتظر حتى بداية الاسبوع على
الاقل...

تبادل نظرة خبيثة مع حياة التي كتمت ضحكتها بصعوبة
واردف:

-اريد العودة يا اخي ما مشكلتك انت!!

حاول ابراهيم ان يبدو طبيعيا كي لا يثير الشبهات قائلا:

-انا على وشك انهاء هذا المحور، امهلي ثلاثة ايام فقط...

وافق احمد على مهلة ثلاثة ايام لينهي مهمته المزعومة
واغلق الخط لتصيح حياة بانبهار:

ثمن باهظ

-لم اكن اعلم انك عبقرى يا احمد...

احمد بغرور:

-فلتحمدى الله على زوج مثلى يا سيدة حياة...

ابتسمت حياة بحب قائلة:

-الحمد لله...

* * * *

لقى بجسده المتهاك على فراشه وهو يسترجع احداث هذا
اليوم، اغمض عينيه لترتسم صورتها امامه، تذكر تورده
وجنتيها هذا الصباح عندما شعرت بالخجل، بدت جميلة جدا
بل لذيذة وهو يريد... فتح عينيه بقوة ليفكر في هذه
الكلمة... يريد!! باي صفة يريد!! اعتدل في جلسته
مفكرا:

-فاتن تختلف كليا عن احلامه المتعلقة بشريكة حياته، اراد
امراة متدينة متحجبة قانتة لكن فاتن بعيدة كل البعد عن
الدين، يبدو انها لا تعرف حتى اتجاه القبلة هذا ان كانت
تعرف ما القبلة اصلا، ملابسها غير محتشمة على الاطلاق
اضافة الى انها تتسكع مع المدعو ادم طوال الوقت...

زفر بحلق وهو يتذكر ادم، يتمنى لو يستطيع اخفاءها عن
اعين الجميع، لن يسمح لاي شخص بالنظر اليها خاصة
ادم... لكن ما السبيل اليها وهو يرى القوة والعناد
والكبرياء في عينيها... استلقى مرة اخرى وادم يحتل
تفكيره، وجوده الدائم معها يثير غضبه... مهلا لحظة... هل
يغار عليها الان!! دفن راسه في وسادته قائلا:
-نعم... اغار عليك قصيرتي...

* * * *

ثمن باهظ

في اليوم التالي جلست تفكر بحيرة، هل تدخل الى صفه ام تباعد، تريد رؤيته، تريد مراقبته خلسة وهو يلقي محاضراته كما اعتادت في السابق لكن الامور اختلفت، لقد اهانتها امام صديقه وزوجته، هذه المرة لن يغفر لها فعلتها، سيدفعها ثمن فعلتها بلا رحمة... هزت راسها بعنف طاردة الافكار المتشائمة من عقلها، عدلت هدامها وقررت المواجهة، دخلت القاعة فلم تجده، تنفست الصعداء وجلست في مكانها بهدوء، ارتفع صوت رنين هاتفها فاجابت لتمتلي اعينها بالدموع فجأة، حملت حقيبتها وهمت بالمغادرة، لم تنتبه للشخص الداخل فارتطمت به، رفعت عينيها لتجد استاذها ينظر اليها بتفحص:

-لم العجلة انسة فاتن!!

جاهدت نفسها لاجراج كلمات مفهومة من جوفها:

-اسفة لكن هناك ظرف طارئ ويجب ان اغادر...

ابتسم بسخرية...

-يبدو انك الوحيدة التي لها ظروف طارئة هنا...

لم تجبه، بل تخطته نحو الخارج فاشتعل غضبه، صرخ بها
متوعدا:

-فاتن ان غادرت الان فلا داعي للعودة مجددا...

اكملت طريقها دون الاكتراث لما يقوله، صفع الباب خلفها
ودمائه تغلي في عروقه، كانت ملامحه الغاضبة مخيفة جدا
فآثر الطلاب الهدوء على سماع ما لا يرضيهم... حاول
الهدوء لكن دون جدوى فاعتذر من الطلاب ليخرج قليلا...
سار في اروقة الكلية حتى خرج الى احد حدائق الجامعة
اين لمحها برفقة ادم، ردد في نفسه بسخط:

-ادم مجددا!!

دقق النظر فانتبه انها تبكي بمرارة والاحمق بجانبها يخفف عنها لكنه تخطى كل الحدود حين اقترب منها يضمها الى صدره والغبية لم تمنع بل ازداد بكاءها، شدد قبضتيه بغضب وهم بالذهاب اليهما لكن صوتا نسائيا اوقفه، استدار ناحية الصوت فرأى جمانة والحزن طاغ على وجهها...

-استاذة جمانة ما الامر!! تبدين حزينة...

اطرقت جمانة راسها ارضا وهي تقول:

-الاستاذة دلال توفيت جدتها قبل قليل، وقد قررت مع بعض زملائنا الذهاب الى المأتم فاردت سؤالك ان كنت تود القدوم معنا...

هز ابراهيم راسه موافقا...

-انا لله وانا اليه راجعون، طبعاً سأتي معكم، الاستاذة دلال زميلتي ايضا وهذا واجبي...

ثمن باهظ

اخبرته ان موعد اللقاء سيكون على الساعة الرابعة في
موقف السيارات فوافق ثم استدار حيث كانت تجلس فاتن
برفقة ادم فلم يجدهما، فضل العودة الى فصله وهو يتوعدها
بما لا يحمد عقباه...

الفصل الثالث عشر

توافد الناس من كل حذب وصوب يترحمون على روح
الفقيدة داعين ان يلهم الله اهلها الصبر، وقف بجانب والده
يتلقى العزاء بحزن، انتبه الى وصول جماعة لا يعرف منها
احدا، مال الى جهة والده يساله بخفوت عن هويتهم فهز
سليم راسه بعدم علم، اقترب رجل منهما مصافحا:
-انا لله وانا اليه راجعون... عسى الله ان يرحمها ويلهمكم
الصبر والسلوان...

صافح سليم وابنه الرجل ومن معه من الرجال واكتفوا
بايماءة للنساء دون ان تخلوا وجوههما من النظرات
المستفسرة، لاحظ الرجل حيرتهما فباشر الكلام قائلا:

-نحن زملاء الاستاذة دلال وقد جننا لمساندتها في محنتها،
ابتسم سليم بامتنان في حين كان جياذ ينظر الى ابراهيم
الواقف بالخلف محاولا تذكر المكان الذي رآه فيه من قبل،
برقت عيناه فجأة فهدوء هذا الرجل المستفز لا يمكن ان
ينسى، تقدم ابراهيم مادا يده لمصافحته بنفس الثقة التي
لمحه بها يوم المحكمة...

-عظم الله اجركم بمزيد من المغفرة والثواب...

رد عليه بابتسامة شقت ملامحه الحزينة:

-بارك الله فيك سيد ابراهيم...

استغرب هذا الاخير معرفته له فاجابه جياذ عن سؤاله الذي
لم يصرح به:

-لقد التقينا من قبل في المحكمة حيث كنت شاهدا على
جريمة قتل...

ابراهيم بتذكر:

-المدعي العام!!

هز راسه بابتسامة مؤكدا ثم اصطحبه الى قاعة حيث يجلس باقي زملاءه، تركهم وذهب ينادي اخته للقاء ضيوفها، بدأت النسوة في تعليقاتها المعتادة عن كبر المنزل ورفاهية الاسرة، القاعة كانت كبيرة ومفروشة باثاث فاخر يدل على ثروة اصحاب المنزل، شعر بالملل من الحديث الجاري عن نفوذ الاسرة وآخر الشائعات التي تدور حولها فوقف امام النافذة يتأمل الحديقة الخلفية للمنزل والتي لم تكن بأقل جمالا من الامامية، مسبح كبير يتوسطها تحيطه شجيرات صغيرة يبدو انها تقلم بعناية، ارجوحة خشبية كبيرة يجلس عليها شخصان لم تظهر ملامحهما بوضوح بسبب بداية انتشار الظلام، استمر في التحديق بهما حتى سمع صوت دلال يحييه من الخلف، استدار بابتسامة سرعان ما تلاشت

حين رآها، تبدو حزينة للغاية، حجابها الداكن الملفوف حول وجهها اظهر شحوبها بوضوح، وهالات سوداء احاطت بعينيها لتعكس ارهاقها الشديد، رسم ابتسامة على شفثيه مرددا نفس العبارة:

-عظم الله اجركم بمزيد من المغفرة والتواب...

اكتفت بايماءة صغيرة وجلست بجانب جمانة التي حضنتها بقوة ما جعلها تفقد السيطرة على نفسها لتنهمر دموعها من جديد، شعر الجميع بالاسى عليها فبدأ كل واحد منهم يواسيها بطريقته الخاصة اما ابراهيم فقد فضل عدم التدخل، هو يتفهم ما تمر به الان، اختبر هذا الشعور قبل خمس سنوات لكن مصيبته كانت اكبر والمه اشد فبدل فقدان فرد واحد فقد اربعة ولا يزال حتى الان يحمل نفسه الذنب فهو يشعر انه كان سببا غير مباشر في فقدانهم،

شعر بيد حنون تربت على كتفه فرفع عينيه ليقابله وجه
السيدة فريدة قائلة بحنو:

-سمعت انك زميل ابنتي في العمل...

وقف باحترام مجيبا بالايجاب قائلا نفس العبارة والدهشة
تعلو وجهه فلم يتوقع ان تكون دلال ابنة رئيسة الجمعية:

-عظم الله اجركم بمزيد من المغفرة والثواب...

فريدة بامتنان:

-فليباركك الرحمن بني...

دخل جياذ في هذه اللحظة طالبا منه القدوم معه للتكلم قليلا،
استئذن من فريدة والآخرين وتبع جياذ بهدوء ليجد نفسه
في الحديقة التي كان يتأملها منذ لحظات، التفت اليه جياذ
ليسأله بنبرة جدية:

-اخبرني عما حدث ليلة وقوع الجريمة بالتحديد...

ابراهيم بجدية اكبر:

-لقد ادليت بكل ما عندي في المحكمة ولا املك ما اضيفه...
هم بسؤاله من جديد لو لم يقاطعه صوت من الخلف قائلا:
-فلتنس العمل جياد، هذا ليس الوقت المناسب للتحديث عن
الجرائم...

استدار ناحية الصوت فلم يصدق عينيه... ادم!! والقصيرة
خلفه!! ما الذي جاء بهما الى هنا!! حتى فأتن صدمت حين
راته، هل ما تعيشه خيال ام واقع!! ما الذي يفعله في
منزلها ومع شقيقها!! وادم لم يكن باقل دهشة منهما لكنه
لم يكتف بالصمت مثلها بل سأل استاذة عما يفعله هنا
وكالعادة لم يجبه، لقد بدا يكرهه فعلا، يود لو يجذبها من
يدها ويأخذها الى منزله حيث يضمن ان هذا الطفيلي لن
يصل اليها ابدا لكن هناك شئ لا يفهمه، ما علاقتهما بجياد
ولماذا تبدو حزينة!! عيناها متورمتان من كثرة الدموع،

نكهة الكرز لختفت من شفتيها واحتلت كآبة رهيبة مكانها،
ما الذي يحدث بالتحديد!! تدخل جياذ ليقطع الصمت الذي
خيم على المكان بقوله:

-هل تعرفان بعضكما!!

ادم بتلقائه:

-اجل، انه استاذي وفاتن في مادة الهندسة...

هز راسه بتفهم واتجه نحو فاتن واضعا ذراعه حول كتفها
وبابتسامة مشاكسة ساله:

-كيف تبلي شقيقتي الصغرى يا ترى!!

تسارعت دقات قلب فاتن وهي تفكر في ما يمكن ان يقوله
عنها لينتقم منها، انها فرصته وحتمًا لن يضيعها لكنها غير
قادرة على الرد اليوم، يبدو ان لعنة ابراهيم لا خروج منها،

ستطاردها طوال حياتها وقد تكون السبب في موتها يوما،
لكن اجابته المذهلة كانت غير متوقعة:

-الانسة فاتن طالبة ممتازة واثقوع لها مستقبلا زاهرا في
مجال الهندسة...

فتح ادم فمه ببلاهة وهو يستمع لاستاذة، ما الذي يقوله!!
ايتحدث عن فاتن ام انه اخطأ العنوان!! فاتن بدورها لم
تصدق ما تسمعه، اي جنون هذا!! هل هو في كامل قواه
العقلية!! اما جياذ فقد رفع راسه بفخر وهو يستمع لمديح
استاذ شقيقته عن مجهوداتها الدراسية... ساد الصمت مرة
اخرى فقطعه ادم بسؤاله الفضولي:

-كيف تعرف الاستاذ ابراهيم يا جياذ!!

ابتسم جياذ قائلا:

-التقيته من قبل في احد المحاكمات وقد شاعت الاقدار ان
نلتقي مرة اخرى بعد حضوره مع بعض اساتذتكم...

شعرت فاتن بنشوة وهي تظن انه جاء من اجلها، هل اتفق مع الاساتذة للقدوم من اجل رؤيتها!! لكن فرحتها لم تدم طويلا حين دخل اسم شقيقتها دلال في القصة، تبا يبدو انه جاء من اجل شقيقتها، شعرت برغبة في شتمه كعادتها لكنها تماسكت... في الجهة الاخرى كان يشعر بفضول قاتل ليعلم طبيعة العلاقة بين الشقيقين وادم الغبي... اخرجته من تفكيره صوت جياذ بملاحظة غابت عن باله:

-يبدو انك تعرف كل افراد العائلة يا سيد ابراهيم...

ابراهيم بهدوء:

-فعلا... اعرف الجميع باستثناء الوالد الكريم...

سكت قليلا قبل ان يتغلب عليه فضوله ليسأل:

-هل ادم من العائلة ايضا!!

ابتسم جياذ بحب مجيبا:

ثمن باهظ

-طبعا، فاتن وادم اخوة بالرضاعة وهما متلازمان منذ
الطفولة...

الفصل الرابع عشر

انفجرت أساريه اثر كلمات جيد، شقيق بالرضاعة!! وهو الذي كاد يدق عنقه في كل مرة رآه يقترب منها، تنهد بارتياح، بسكينة، بامل وبسعادة، لا داعي للقلق الان، من كان يزعجه قربه منها ليس سوى اخ تربت وترعرعت معه، اخ يستحيل ان يراها بمنظور رجل، الطريق خالية امامه الان، وليس عليه سوى ان يكسر راسها العنيد لتكون له فقط... الافكار تتراقص في عقله ومن امامه يتطلعون اليه بحيرة، يتساءلون عن سر هدوءه، بروده وغموضه، لكنه لم يعلق او يتكلم فقط ابتسامة واعتذار للانسحاب بهدوء، دخل حيث يجلس زملاءه ودقات قلبه تكاد تحطم قفص صدره... نشوة، سعادة وارتياح... لعبة القط والفار

يجب ان تنتهي، حان وقت وضع حد لها لكن يجب التريث
وعدم التهور ففي النهاية لا يزال استاذنا والحفاظ على
هيئته ووقاره امر واجب... حان وقت الرحيل مع وعد بلقاء
قريب، لقاء سيحمل في طياته ما لا يتوقعه الجميع، استقل
سيارته والقي نظرة اخيرة خاطفة على المنزل، ابتسامة
ماكرة شقت طريقها نحو شفتيه وهو يلوح ظلا يبتعد من
احد النوافذ بلمح البصر، ظلا يعلم علم اليقين من تكون
صاحبته، ادار المحرك وانطلق الى شقته حيث سيعيد رسم
احلامه من جديد مع من سرقت قلبه وسكنت عقله...

* * * *

انتهى العزاء ورحل الناس، فراغ يملأ المنزل وكآبة لونت
ايام اصحابه، رحلت من كانت تغدقهم بحبها وحنانها، رحلت
ورحلت معها ابتسامتها الحنون وعطفها المرهف، رحلت
مخلفة وراءها فراغا رهيبا وجرحا لن يلتئم بسرعة لكنها

سنة الحياة، هم السابقون ونحن اللاحقون، حان وقت مواصلة الحياة وتأمل الغد بأمل قدوم سعادة تنسيهم شقاء الايام الماضية... هدوء يخيم على عائلة الشنقاوي المجتمعة حول مائدة الفطور، الكل مستعد لمزاولة حياته من جديد، فالحياة لا تتوقف عند احد... اتجهت فاتن الى جامعتها التي تغيبت عنها لمدة اسبوع كامل وكل ما يشغل بالها رؤية استاذها الذي افتقدته بطريقة غريبة لا تفهمها، عدلت ثيابها الداكنة ودخلت القاعة لكنه لم يحضر بعد، جالت بنظرها على باقي الطلبة حتى استقرت ببصرها على ادم الذي لوح لها بيده، اقلت عليه نصف تحية وجلست خلفه، انتابها شعور بالخوف لم تعرف سببه، تسارعت انفاسها وارتبكت اطرافها، هي على موعد بلقائه والسعادة رغم التوتر تغمرها... فتح الباب وظهرت المفاجأة، اختفى الاستاذ ابراهيم واحتل الاستاذ احمد مكانه، صدمة تلتها خيبة امل فرغبة بالخروج، يا لسخرية القدر، غيرت فوجها

فلحقها وعندما اعتادت وجوده ونظراته تركها وابتعد، اي
جنون هذا!!

* * * *

انقضت حصة محاضراته فانطلق الى القاعة حيث يتواجد
صديقه متحججا بكتاب نسيه معه، وقف امام الباب منتظرا
خروج احمد وعيناه تجوبان المكان بحثا عنها، كانت اخر
الخارجين كعادتها، القى ادم التحية بمرحه المعتاد فرد عليه
التحية بود ما اثار دهشة ادم لكنه لم يهتم بل التفت الى
فاتن بابتسامة مليئة بالحنان لم تعدها منه من قبل، كل ما
كانت تراه منه هو وجهه البارد الذي لا يحمل سوى نظرات
الجدية او الغضب، وقفت تتأمل ابتسامته ببلاهة فوكزها ادم
من كتفها لتستفيق من شرودها، توردت وجنتيها مرة
اخرى بخجل هامسة:
-صباح الخير استاذ...

ابراهيم بود:

-كيف حالك فاتن!!

اجابته برقة دون النظر الى وجهه:

-بخير... شكرا على سؤالك...

همسها، رقتها، خجلها، انوثتها كل شئ فيها يدفعه الى
حافة الانهيار، انه يغرق كل يوم اكثر في بحر عيونها
الخضراء، نكهة الكرز في شفتيها تتفنن في استفزازه وبقايا
عقل سليم تحذره من التهور، افسح لها الطريق لتمر
ونظراته تحيط بها من كل جهة غير منتبهة لمراقبة احمد
له منذ وصوله الى القاعة...

* * * *

ثلاث سنوات مرت منذ اول مرة رآها مع شقيقها، خصلاتها
الفحمية وهدوء ملامحها، عيونها السوداء وسمرة بشرتها،

ضحكتها الشقية ومرحها، كل هذا سلبه عقله فسقط رافعا
راية الاستسلام في هواها، لكنها أبت، رفضت وابتعدت
لتسلم نفسها لآخر لم يقدر قيمتها، جرحها، ابكاها، وادمى
قلبها، وهاهي اليوم تبدو كوردة ذابلة سقطت تحت عجلة
الزمن لتدهسها بلا رحمة، الحزن صار ملازما لها والشرود
لا يفارقها لكنه لن يضيعها هذه المرة، سيأخذ بيدها
ليخرجها من مستنقع الظلام الذي تعشيه الى عالم النور،
عالم يرجع اليها ضحكتها ومرحها لينعم هو وحده بهما
حتى نهاية العمر... خطى خطوة الى الامام ثم تراجع
خطوتين، يخاف هروبها منه مجددا كما فعلت يوم رآته في
جنازة جدتها لكن المواجهة هي السبيل الوحيد ولا طريق
سواها ليسلكه، اخذ نفسا عميقا ودلف الى الادارة يسأل
عنها:

-الاستاذة دلال الشنقاوي من فضلك...

رفعت موظفة التوجيه راسها سائلة بنبرة رسمية:

-من حضرتك!!

فكر لبرهة ثم حسم امره بكذبة بيضاء:

-اخبريها ان شقيقها جياذ ينتظرها امام البوابة الخارجية...

لقى كلماته وخرج، لا يحب الكذب لكنه مجبر، ستغضب منه يعلم، قد تصرخ في وجهه ولن يهتم لكنه سينهي الموضوع اليوم، وسيخرج منه بنتيجة ترضيه وهو متأكد... استغراب بدى على ملامحها حين علمت بوجود اخيها في الخارج، لماذا لم يتصل بها!! ايعقل انه اضاع هاتفه!! وماذا يريد منها الان!! لا بد وانه الموضوع المعتاد، زفرت بضيق وخرجت حيث يتواجد شقيقها، ويا المفاجأة، ايهاب في الواجهة ولا اثر لجياذ، جالت بعينيها بحثا عنه بلا فائدة، اقترب منها قائلا بهدوء:

-جياذ لفس هنا؁ اساعرا اسمها لانف اعم انك لا ارفءفن
رؤفءف...-

اشااا بوءها بعفا مغممة:

-ففا انك اعلم...-

هما بالمفارة فامسك فءها قائلا بلهجة قاطعة:

-فلنااا...-

* * * *

طاواا صفا بعفاة وشرائا ملونة زفنا فءران القاعة؁
اضواء ساطعة وفتاة بخصلاا شقراء مبعثرة حول وءها
اناظم وناسر؁ اأمر وناهى؁ اناصرأ اارة وناهدأ اارة اأرى؁
لا مبال للأا؁ هءفاا انامز وناالأق أاصة امامها؁ سنابهره
بناوقها بل سناااا انها اناصلأ لان اناكون مهندسة ففكور

ناجحة... سمعت صفيرا خلفها فاستدارت لتجد ادم يتفحص
المكان بنظرات منبهرة، ابتسمت بغرور سائلة:
-ما رايك!!

ادم وهو يتفحص المكان:

-رائعة... سيكون هذا افضل حفل نهاية سنة تشهده الجامعة
على الاطلاق...

سكت قليلا ثم اضاف بسخرية:

-لكن الناس ستعود ادراجها بمجرد دخولها البوابة...

كادت تهجم عليه لتشرب دماءه حتى آخر قطرة وتتخلص
منه ومن تعليقاته الساخرة الى الابد لكنها كتمت غيظها
قائلة:

-ولماذا يا سيد ادم!!

هز كتفيه مجيبا بلا مبالاة:

-لأنك تبدين مخيفة يا انسة...

ادركت ان معه حق فحالتها مزرية، ثيابها متسخة وشعرها
منفوش على راسها كعش طير تم هجره منذ زمن بعيد،
اعطته ورقة كتب فيها تنظيم فقرات الحفل واسرعت الى
المنزل تحضر نفسها... ارتفع صوت موسيقى هادئة معلنة
بداية الحفل، اكتظت القاعة بالطلبة واساتذتهم اضافة الى
بعض العاملين بالمؤسسة... وقف بجانب احمد وعيناه
تبحثان عنها بين وجوه الحاضرين، باشر احمد الكلام
والخبث ظاهر في عينيه:

-ذوق فائن مبهر فعلا...

اتسعت عيناه لدى ذكر اسمها فواصل احمد بمكر:

-انها فتاة رائعة، مجتهدة ومثابرة اضافة الى انها جميلة...
جميلة جدا...

ثمن باهظ

شعر بغصة في حلقه وهو يستمع لتغزل صديقه بها، تمنى
لو يوجه له لكمة تفقده القدرة على الكلام لعدة ايام لكنه
تمالك نفسه، ارتفع صوت احمد من جديد ينبؤه بوصول
ملكة الحفل، استدار لرؤيتها فاشتعلت النار بداخله اكثر، ما
ترتيديه لا يصلح سوى لغرفة النوم، فستان بدون اكمام
ويرتفع على الاقل شبرا كاملا عن ركبتيها، فتحة عنق تبرز
مفاتها والاسوا ان الفستان قد التصق بجسدها كجلد ثان
لها، كور قبضتيه بسخط واتجه نحوها بعينان تقدحان
شرا...

الفصل الخامس عشر

كفه تعتصر يدها وعيناه تحاصرانها من كل جهة، رغبته واضحة وموقفها اوضح، يريد لها ولا تريد خوض التجربة، تخاف الالم وخيبة الامل، تخاف تكرار قصة لم تحصد منها سوى اشواك ادمت قلبها، ذكريات تطاردها وقلب جريح ينتفض بين ضلوعها ولا أحد يتفهم!! موقفه حازم يريد الكلام!! فليكن، ستسمعه كلاما جارحا عله يبتعد... لم يتح لها خيارا اخر، قبلت دعوته لارتشاف كوب من القهوة وغشاء الدموع يحجب عنها الرؤية بوضوح، جلست على طاولة في زاوية المطعم كأنها تهرب من أعين الناس، تتمنى لو تعتزل الجميع لتستطيع التخلي عن قناع القوة الوهمي الذي تحيط به نفسها منذ طلاقها لكن هذا الاحمق

ثمن باهظ

يقتحم عزلتها ويصر على ضغط جرحها، وهاهو الآن يباشر
كلامه بثقة وحزم ولا نية له في التراجع:

-دلال، اعلم ان ما تمرين به ليس هينا على الاطلاق...

قاطعته بغضب، بألم مكبوت وبندم، هي لن تتحمل نظرة
الشفقة من احد حتى لو كان عاشقها المتيم:

-ما امر به ليس من شأنك، فلتدخل في صلب الموضوع
مباشرة، ليس لدي متسع من الوقت فهناك حفلة يجب ان
احضرها...

اغمض عينيه واخرج نفسا حارا من صدره، المهمة اصعب
مما تبدو عليه:

-انظري الى اصابع يدك...

فتحت فمها ببلاهة:

-نعم!!

توفيق بنبرة جدية:

-ليس كل اصابعك متشابهة، كذلك الرجال والنساء على حد
السواء، منهم الطيب والشرير، ربما حظك قالك مرة نحو
شخص لم يقدر قيمتك لكن هذا لا يعني انني مثله...

زفرت بضيق من هذه المحاضرة المللة، بنظرها كل الرجال
متشابهون، يقتربون من اجل مصلحة معينة ويتعدون لى
انقضائها، سمعت اسمها يخرج من بين شفثيه فرفعت
راسها لمواجهة عينيه التي تلمعان عشقا:
-احبك...

اتسعت عيناها بذهول، طبول قلبها تدق بسرعة جنونية
حتى خيل لها انه سيسمع نبضها، ابتلعت ريقها بصعوبة
وتسللت حمرة خجل جميلة الى وجهها، استغل فرصة
انفعالها ليكمل حديثه:

-لا يهمني ماضيك، كل ما يهمني هو حاضرك ومستقبلك
الذي سيكون بجانبى، فكري ولا تحكمي علي بسبب ما
اقترفه غيري وتذكري انني لن اهدأ حتى تكوني على
ذمتي...

-عن اذنك، يجب ان اغادر...

كلمات متوترة خرجت منها بصعوبة وهي تقوم من مكانها
لتغادر، لم تلتفت خلفها لكنه متأكد ان كلماته قد تغلغت
داخل اعماق قلبها...

* * * *

نزل الدرج بخفة ويده تعبت بهاتفه، لمحها خلف الباب
والتردد مسيطر عليها، تراجع للخلف مختفيا خلف الحائط،
اצל برأسه وابتسامة عابثة تزين ثغره، التفتت يمينا ثم
شمالا، اخذت نفسا عميقا معدلة هندامها ودفعت الباب
باناملها الرشيقة لتدخل، ظهر امامها فجأة فشهقت برعب

ثمن باهظ

واضعة يدها على فمها تكتم صرخة من الخروج، عقد
ساعديه امام صدره وبنبرة غضب مصطنعة قال:

-أرأيت شبحا ام ماذا!!

ازدردت لعبها قائلة:

-افزعني يا اخي...

رفع حاجبه بسخرية وانحنى امامها بنبرة مأكرة:

-اخوك اذن!! هل انت متأكدة!!

لم تجبه فقط اشاحت بوجهها بعيدا عنه فأراد اغاظتها اكثر:

-ما الذي اتى بك الى هنا!!

ازداد توترها وتبعثرت كلماتها امام نظراته فلم تعلم بما
تجيب...

-ف... فا... فاتن... انا هنا لرؤيتها...

"الكاذبة الصغيرة" هذا ما اطلقه عليها، كلاهما يعلمان جيدا ان فاتن في حفلة جامعية، وقف منتصبا ونظرته الماكرة لم تفارق عينيه:

-تعلمين ان فاتن ليست هنا لكن بما انك تكبت عناء القدوم الى هنا فمن غير اللائق تركك تعودين ادراجك دون دعوة بالدخول...

ثم اضاف بنبرة خبيثة:

-بامكاني صرف الخادمة ايضا ان كان هذا يرضيك...

اغرورقت عيناها بالدموع، ما الذي يظنه بها!! ولماذا ذكرت اسم فاتن في حين انها ليست سبب مجيئها، توترها جعلها تتفوه بكلام احمق اخرجها والآن هذا المغرور امامها يظن بها السوء... لاحظ الدموع في عينيها فشعر بالندم لمزاحه الثقيل وقبل ان يتكلم سمع صوت والدته

خلفه:

-وفاء انا انتظرك منذ مدة وانت جياذ الا تزال هنا!!
نقل بصره بين والدته ووفاء بدون فهم، فاعتذرت وفاء
قائلة:

-اسفة خالة فريدة، كانت لدي بعض الاعمال...

تساعل جياذ بحيرة:

-ألم تذهبي الى الجمعية اليوم:

فريدة بتلقائية:

-قررت البقاء في المنزل، لدي ما افعله مع وفاء...

انكمشت وفاء على نفسها في حين وقف ينظر اليهما
وسؤال واحد يتردد في ذهنه:

-اذا كانت هنا من اجل امي فلماذا اقحمت اسم فاتن اذن!!

ابتسم بغرور وهو يجيب نفسه:

-من الطبيعي ان تنسى حتى اسمها في حضرتك سيد
جياذ...

استقل سيارته بعد ذلك واتجه الى عمله بسعادة والمسكينة
وفاء تقضم اظافرها من فرط التوتر...

* * * *

دخول اسطوري، فستان بشبر ونصف ومشية طاووسية
تعكس غرور صاحببتها، دماء تغلي في عروقه، غضب
متأجج يهدد بعاصفة هوجاء تدمر بلا هوادة...

لاحظت تقدمه نحوها فرفعت راسها بغرور، وقف امامها
وشيطانه يوسوس له بقتلها، بدفنها حية او بتحطيم رأسها
الغبي وبذل ذلك كله جذبا من ذراعها بقسوة تأوهمت لها،
انقادت خلفه بقلة حيلة غير مدركة لما يحدث، ابتعد قليلا
عن قاعة الحفل فأفلت ذراعها تاركا اثر اصابعه عليها،

تحسست ذراعها بالم وعيناها ترمقانه بعتاب، لم يكثر
لنظرتها فقط صرخ بغضب اربعها:

-اين تظنين نفسك لترتدي مثل هذه الثياب!!

اندهشت من سؤاله فاجابته بصوت مرتفع:

-وهل انا الوحيدة بمثل هذه الثياب!!

رفع سبابته في وجهها وبنبرة صارمة، حازمة ومخيفة
قال:

-اياك ان ترفعي صوتك امامي مرة اخرى...

تهديده مخيف، كلماته مرعبة وملامحه قاسية، هدأت،
استكانت وباستسلام اجابت:

-اسفة...

ضعفها امامه اطفأ بعض نيران قلبه، خلع سترته ووضعها
على كتفها، لم تحاول اخفاء دهشتها بل وجهت له نظرات

حائرة، مستفسرة عما يفعله، تأملها قليلا لم زفر بحنق،
السترة لا تغطي جسدها ولن يسمح لمخلوق بروئيتها، جذبها
من ذراعها مرة اخرى متجها الى موقف السيارات، حمد
الله في سره ان الجامعة فارغة، الكل متواجد في الحفل ولن
يراه احد بهذا الشكل، فتح باب السيارة ودفعها دفعا الى
الداخل، لم تصدق ما يفعله وما الذي يفعله اصلا!! ادار
محرك السيارة وانطلق بسرعة جنونية الى وجهة لا
تعلمها، استجمعت شجاعته وسأله بقلق:

-الى اين تأخذني!!

اتاه صوت الغاضب هاتفا:

-لتغيري ملابس النوم التي ترتدينها...

ما الذي دهاه!! لم يتصرف هكذا!! هي لم تكن الوحيدة التي
ترتدي ثيابا قصيرة، ايعقل انه ينتقم فقط!! ام انه يغار!!

فرضية اسعدتها، اثلجت صدرها واراحتها، ابتسمت بخبت
سائلة:

-لماذا غضبت مني من بين كل تلك الفتيات!!

اجابته وان تمنيتها لم تتوقعها، لم ينمق او يجامل، لم يحاول
الكذب او التصنع فقط نطق بها، كلمة من اربعة حروف
ألجمتها...

-أغار...

تابعت الطريق بصمت فلاحظت انها تحفظ معالمه، هل
يأخذها الى منزلها!! توقفت السيارة فهتف بتحذير:
-ارتدي شيئا فاضحا وسترين...

ترجلت من السيارة تلف سترته باحكام حولها، صعدت الى
غرفتها بهدوء وما ان اغلقت الباب خلفها حتى كادت تطير
من الفرع، ألقت بثقل جسدها على فراشها وحركت ساقها

ثُمَّ بَاطِلٌ

حركات دائرية في الهواء من شدة السعادة، انه يغاللااااار،
اعتدلت في جلستها تفكر في كلمته ومن شدة حماسها
وقفت على فراشها تنط بشقاوة كفتاة صغيرة حصلت على
حلوتها المفضلة، انتبهت فجأة انه لازال ينتظرها في الاسفل
فأسرعت لدولاب خزانتها تبحث عن شئ محتشم، غيرت
ملابسها حوالي خمس مرات بلا فائدة، هذا قصير وذاك
ضيق ولا شئ يصلح، الغيور ينتظر والوقت يمضي وهي...
هي ستجن عما قريب، وجدت اخيرا فستانا اشتراه لها
والدها لكنها لم ترتده ولا مرة، فستان اسود طويل بشريط
احمر حول الخصر، ماسة تلمع في فتحة العنق الدائرية
والمشكلة انه بدون اكمام، زفرت بضيق ثم لفت شالا انيقا
حول ذراعيها ونزلت بسرعة قبل ان يمل الانتظار ويغادر...
اما في السيارة فقد كان ابراهيم يفكر في نتيجة انفعاله، هذه
اول مرة يفقد اعصابه، لطالما كان كتلة لا تتأثر من الثلج
لكن يبدو ان قناعه الجليدي بدأ يذوب في حضرة تلك

العفريّة القصيرة، شعر بطرق خفيف على نافذته فالتفت
ليجدها بفستان طويل لا يبرز جسدها، تنهد بارتياح وأشار
لها بان تصعد لكنها رفضت...

-اسفة انني اضعت وقتك استاذ، ساطلب من ابي ان
يوصلني، لا داعي لان تتعب نفسك...

اجابها بسخرية:

-اتعب نفسي!! استاذ!!

وبنبرة حازمة واصل:

-فلتصعدي، هناك ما اريد قوله...

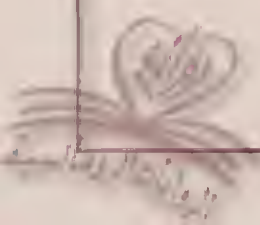
هل قلبها بفرح، ماذا سيقوله يا ترى!! هل سيعترف
بحبه!! ام يطلب يدها للزواج!! ام انه س... قطع احلامها
بصوته الجهوري:

-سأسافر لمدة خمس سنوات لاحد الدول الاجنبية...

تُمنّ باهظ



ملاك



الفصل السادس عشر

امام لوح نحاسي وقف، حروفه نحتت ببراعة لتطبع اسما رائعا كاسمها، مكتب صغير وسمعة طيبة تسبقه، طرق الباب بخفة ودخل، انبهر بأناقة المكان، أناقة ان دلت على شئ سيكون ذوق صاحبته، قاعتان للانتظار بكراسي خشبية احداها للنساء والاخرى للرجال، في وسط كل قاعة طاولة مدورة صغيرة عليها بعض المجلات، باب غليظ مغلق بدا وكأنه باب مكتبها، حوض اسماك كبير في احد الزوايا وضوء خافت منبعث منه اضاف رونقا على المكان، لوحة زيتية ضخمة تحتل نصف الحائط يقبع تحتها مكتب صغير تجلس فيه فتاة شاردة، اقترب منها بخطوات واثقة، طرق باصابعه على سطح مكتبها بهدوء ليشعرها بوجوده،

التفتت اليه بشئ من الغيظ لاقتحام عزلتها لكنها سرعان ما
ارخت ملامحها وهي تتأمل وسامته، لاحظ نظراتها لكن
قناع الجمود على وجهه لم يتحرك، وبنبرة رسمية سأل عن
صاحبة المكتب، أجابته بعينين معلقتين به انها غائبة،
خرجت في مهمة ولن تعود قريبا، مط شفتيه بتفكير ثم اتجه
الى قاعة الانتظار الخاصة بالرجال دون ان يهمس بحرف،
تابعته بشغف حتى استقر على احد المقاعد، تناول مجلة
يقلب صفحاتها فشعرت وكأنه يقلب صفحات قلبها بين
كفيه، واصلت التحديق به على امل ان تتأخر مديرتها
اكثـر...

* * * *

انتهت اخر لمساتها على المكان، نظرة اخيرة واستعداد
للخروج، تعب ينخر عظامها وارهاق يلزمها منذ ايام،
استقلت سيارتها عائدة الى مكتبها والافكار تتضارب داخل

عقلها، صعدت الدرج بتكاسل ودلفت مكتبها، لمست كتف
مساعدتها لتفيقها من شرودها فانتفضت الاخيرة بذعر،
التقطت انفاسها وبعينين حالمتين رددت:
-انه بانتظارك...

عقدت حاجبها باستغراب سائلة:
-من!!

تنهدت بسكينة وابتسامة وله ارتسمت على وجهها:
-الوسيم...

لم تفهم ما بالها اليوم ففضلت الانسحاب وتركها لجنونها
لكنها اوقفتها، اشارت بيدها الى قاعة الرجال فذهبت
لتفحص المكان، القاعة خالية ولا احد هنا، همت بتعنيفها
فانتبهت لباب الشرفة المفتوح، اقتربت بخطى محذرة تتطلع
لذلك الواقف بالخارج... صدمة شلت حركتها، افقدتها

القدرة على الكلام فقط تأملته من الخلف، يقف مباعدا بين
ساقيه قليلا ويديه في جيوب بنطاله، يرتدي سروالا
كلاسيكيا اسود يعلوه قميص ابيض مشمر قليل عند
ذراعيه، شعر بوجودها خلفه فاستدار ويا ليته لم يفعل، الان
صارت تتفهم حالة مساعدتها، سألت نفسها ببلاهة منذ متى
هو وسيم هكذا!! كيف لم تنتبه لوسامته من قبل!! هل
اعماها غرورها عن رؤيتها!! شعر اسود وعينان كحبتني
زيتون تسبحان في فراغ ابيض، لحية نامية فوق بشرته
السمراء وزرين مفتوحين اضافة الى صدر عريض اكسبه
منظرا رجوليا لا يقاوم، وهاهي ابتسامة حانية منه لتسرق
ما تبقى من عقلها...

* * * *

قرار بالخروج من العزلة، خوض تجربة جديدة على امل
بسعادة حقيقية، سعادة تنسيها تجربتها القاسية... بكلمات

خجولة ابلاغته موافقتها، ضحكة مجلجلة منه زلزلت كيانه،
ضمها اليه بفرح، بحب وانتصار، وعداها ان تكون له دون
غيره وهاهي موافقتها تطرب آذانه، وعداها ايضا بسعادة
ووفاء طول العمر وقد كان عند وعده، سنوات مضت لم
تذق فيهم طعم الشقاء، انساها تجربتها الاولى وتوج نفسه
ملكا فوق عرش قلبها، عرش ينفرد بحكمه وحده... لم
تنتبه لوجوده وهو يتأملها تطعم ثمرة حبهما "جنة" بحنان
اموي فياض، لم يندم يوما على قرار الارتباط بها بل يكاد
يجزم انه احكم قرار اتخذه على الاطلاق، لاحظت وجوده
اخيرا فابتسمت برقّة، اقترب منها طابعا قبلة على جبينها
واخرى على رأس ابنته، جذب كرسيها وجلس بجانبها...

-كيف حال اميراتي اليوم!!

هتفت جنة بغضب لذيذ:

-هناك اميرة واحدة وهي انا...

ثمن باهظ

انفجر ضاحكا وهو يشير الى امها:

-ومن هذه اذن!!

اجابته ببراعة:

-انها الملكة دلال وانت الملك ايهاب...

تبادل ضحكة مع زوجته وهو يحمد الله ان قر عينه بعائلة
تنسيه تعب يومه...

* * * *

ظل يحدق بها بحنين، ابتسم بسعادة وهو يرى تقلب حالها،
تغيرت وازدادت جمالا بتغيرها، لا وجود لملابس فاضحة
فقط حجاب انيق يستر جسدها وشال يلتف بنعومة حول
وجهها، خطى بضع خطوات نحو باب الشرفة حيث تقف
بذهول والقى تحية بهدوء، اخذت نفسا عميقا وردت التحية
بهدوء مماثل، دعتة للجلوس في مكتبها وهي تسترجع ما

ثمن باهظ

حدث قبل خمس سنوات في سيارته حين اخبرها بأمر سفره، انقبض قلبها وكادت تصرخ ل تمنعه من الذهاب لكن كبرياءها الاحمق منعها، تلبست قناع الجليد وهي تتمنى له التوفيق والنجاح، رمقها بنظرة لم تفهم معناها ثم خرجت منه كلمة واحدة لم يصف بعدها حرفا واحدا...

-انتظريني...

لم تقل شيئا، فقط اكتفت بالصمت وبالهروب من نطاق عينيه التي تحاصرانها وفي النهاية انتظرت، انتهت دراستها وفتحت مكتبا صغيرا لتحقيق نجاحات متتالية ومع كل نجاح حققته تمنى لو كان بجانبها ليشجعها ويفتخر بها... افاقت من زكرياتها على كلمة اخرى منه كادت تفقدها وعيها:

-فلنتزوج...

الفصل السابع عشر

حظ سيئ، تأخر وحادث سيارة، يوم في قسم الشرطة بدل الجامعة واهانة المسؤول بوقاحة، التقاء جديد كأستاذ وطالبته، بداية شد وجذب ونمو مشاعر بعد كره طويل، فراق دام لمدة خمس سنوات والآن ماذا!! فلنتزوج!! هكذا وببساطة!! وأي جمود هذا الذي يتلبسه!! الم يكن بإمكانه اصدقاء بعض الرومانسية في طلبه!! وهل هذا عرض زواج ام عرض خدمة عسكرية!!

ذهول يكتنفها وهو... هو لا تعابير على وجهه، فقط بروده المعتاد... هل انتظرت خمس سنوات كاملة ليعرض الامر بهذه الطريقة المبتذلة!!

لاحظ شرودها في افكارها فبادر بالكلام:

ثمن باهظ

-سأقابل والدك بعد قليل، جهزي نفسك سنقيم حفل خطوبة في عطلة نهاية الاسبوع...

تلبسها شيطانها مرة اخرى وهي تستمع لكلماته، زواج وخطبة وعليها الامتثال!! هل اصابه مس من الجن!! لم ينتظر موافقتها حتى وهاهو يخطط ويقرر ويأمرها بالتنفيذ!! عقدت حاجبيها باستياء قائلة:

-انا مخطوبة...

قابل جملتها بسخريته المعتادة:

-حقا!!

وبنبرة جدية اجابت:

-طبعاً...

ابتسامة اخرى ساخرة ووقوف بانتصاب مع بعض الكلمات القاطعة:

ثُمن باهظ

-فلتفتحي خطوبتك اذن... وحضري نفسك لعطلة نهاية
الاسبوع...

القي كلماته وغادر، ضربت المكتب بقبضة غاضبة لكن
سرعان ما ارتسمت ابتسامة شقاوة على وجهها، اخيرا
ستكون معه وله، حين تصبح زوجته ستكسر وجهه
الجليدي لتتعم بالرومانسية التي تريدها ابد الدهر، ستتفنن
في تغييره حتى يتناسب مع اميرها الذي لطالما حلمت به...
دخلت مساعدتها فجأة متسائلة بفضول مزعج:

-من هذا!!

رمقتها بنظرة غاضبة وبغيرة انثى اجابت:

-خطيبي...

كاد يغمى على المسكينة وهي تسمع كلمة خطيبي، انهارت
احلامها قبل ان تحظى بشرف المحاولة حتى... اعتذرت
وخرجت بهدوء تاركة اياها لاحلامها مع فارسها الوسيم...

* * * *

طرق باب مكتب والده واطل برأسه مع ابتسامة منمقة
فهمها سليم على الفور...

-ماذا تريد جياذ!!

جياذ بمرح:

-اشتقت اليك فقررت البقاء معك لبعض الوقت...

ابتسم بسخرية فهو يعلم ان ابنه لا يزوره في الشركة الا
عند حاجته اليه:

-اجلس بلا لف ودوران...

جلس بهدوء قائلا بنبرة جدية:

-اريد ان اتزوج...

ارجع راسه الى الوراء قائلاً بتفحص:

-وفاء!!

اتسعت عيناه بذهول، هل مشاعره مفضوحة الى هذه
الدرجة!! استدرك نفسه وبنحنة صغيرة اوماً براسه
مؤيداً...

-انت اقرب شخص الى والداها العم حسين لذلك رشحتك
للمهمة...

علا صوت طرقات على الباب فزفر جياذ بحنق حين سمح
سليم للسكرتيرة لمياء بالدخول...

-اسفة لمقاطعتكما لكن هناك شخص ما مصر على
مقابلتك...

تبادل النظرات مع ابنه باستغراب:

-الم يخبرك عن هويته او عما يريد!!

هزت راسها بنفي:

-كلا اخبرني ان الموضوع شخصي...

طالب منها السماح له بالدخول والحيرة تكتنفه، بعد لحظات
ظهر ابراهيم فعرفه جياذ على الفور في حين لم يستطع
سليم تذكره... صافحهما بوقار وجلس بعدما اذن له سليم
بذلك...

بعد اسئلة تقليدية مملة عن الحال والاحوال قرر ابراهيم
افتتاح الموضوع:

-بصراحة انا هنا لطلب يد ابنتك فاتن على سنة الله
ورسوله...

اصيب الاثنان بالذهول من جرأته وثقته بنفسه، فسأله سليم
بحذر:

-تريد الزواج بابنتي فاتن!!

او ما براسه مضيافا:

-انا اعمل في الجامعة اين درست فاتن، سأترك لك عنواني
لتسأل عني وتطمئن قلبك على ابنتك واتمنى ان تبلغني
بقرارك قريبا...

استغرب جواد شجاعته، هو لم يستطع مواجهة العم حسين
على الرغم من علاقته الجيدة به اما ابراهيم فقد تقدم بكل
بساطة ويطلب بفاتن بسهولة...

-ماذا عن راي فاتن!!

هتف جواد بهذه العبارة فالتفت اليه ابراهيم قائلا بجمود:
-هذا ما انتظر معرفته...

تساءل بداخله كيف ستستطيع شقيقته المليئة بالحياة
والنشاط التعايش مع كتلة الجليد امامه فهي تكره ان

ثُمَّنْ بَاهِظْ

يتجاهلها احد ويبدو ان ابراهيم خير في التجاهل... انتبه
لوقوف ابراهيم فوق هو الآخر يواجهه:
-عن اذنكم الان...

صافحهما مرة اخرى مودعا وغادر كما جاء، استدار سليم
الى جياذ سائلا:

-ما رايك به!!

جياذ بتذكر:

-التقيته مرة في احد المحاكم بصفته شاهدا على جريمة،
استفزني بروده وغموضه فسألت عنه ولم اجد غبارا على
اسمه...

قام من مكتبه بتفكير...

-اتقصد انه مناسب لفاتن!!

جياذ بجدية مصطنعة:

-كلا...

عقد حاجبيه باستغراب فأكمل:

-فاتن عصبية وابراهيم بارد، اخاف ان تقتله في لحظة
غضب...

تنهد بارتياح مبتسما لطرافة ابنه وهو يفكر في راي ابنته
ففي النهاية القرار قرارها...

* * * *

ارتفع صوت رنين هاتفها المزعج ليقلق راحة نومها،
اجابت بصوتها الناعس فأتاها صوت طفلة مشاغب:

-خالتي فلنذهب لشراء ملابس جديدة...

اجابت بغضب تعلم الصغيرة سببه جيدا:

-لن اذهب، اذهبي مع امك...

عاد صوت الصغيرة يعلو ببراعة:

ثمن باهظ

-فالتن اسفة لن اناديك خالتي مرة اخرى...

ابتسمت بارتياح قائلة:

-اعطني امك...

دلال بمرح:

-قومي يا كسولة، جنة تريد شراء ثياب جديدة لحفلتها المدرسية، لا استطيع الذهاب بسبب جدولي المكتظ، لذلك رشحتك لهذه المهمة...

غمغت فاتن بحنق:

-يا لها من مهمة سامية...

ارتفع صوت ضحكها قائلة:

-انا ذاهبة للجامعة، تعالي لاخذها بسرعة...

هبت واقفة على قدميها بتفكير، الجامعة!! اغلقت الخط
بسرعة وارتدت اجمل حجاب تملكه، اخذت حقيبتها ومفتاح
سيارتها وسارعت الى حيث ستجد خطيبها المستقبلي...

تجولت ببصرها بين وجوه الطلبة والاساتذة وحتى العاملين
تبحث عنه والصغيرة جنة ممسكة بيدها، شعرت بانقباضة

في قلبها حين لمحته يخرج من باب الادارة وفتاة تسير
بجانبه، يبدو انها طالبة تتحجج بمحاضرة غيبة لتستمع
بقربه، كورت قبضتيها بغضب وهي تراه يبتسم للغيبة معه،
انتبه لوجودها فستأذن من طالبتة متجها نحوها...

-صباح الخير، مفاجأة رائعة...

بوجه عبوس وصوت مقتضب اجابت:

-صباح النور، اتيت لآخذ ابنة اختي... عن اذنك...

همت بالمغادرة فوقفها سائلا:

-هل حدد والدك موعدا للخطبة!!

كادت تطحن اسنانها وهي تجيب:

-فلتحدد ميعادا مع والد طالبتك...

تركته وغادرت، الغضب يسري في عروقها والغيرة تنهش قلبها اما هو فكان سعيدا برؤية غيرتها، قرر الحصول على بعض المرح فلستقل سيارته ولحق بها حتى توقفت امام احد المجمعات التجارية، ترجلت من سيارتها والصغيرة لا تزال بجانبها، اقترب منها دون ان تشعر به مناديا باسمها...

-فاتن...

صرخت برعب فاثارت انتباه الناس حولها، حاول تكليمها لكنها عاندت وقالت بصوت مرتفع نسبيا:

-ابتعد... اتركني...

ثمن باهظ

ظهر غضبه جليا في صوته وهو يقترب منها محذرا:

-اخبرتك الا ترفعي صوتك والا...

وبغناد اجابت:

-والا ماذا!!

لاحظ نظرات اللوم من الناس حوله واقترب عون امن منه

فاستيقن ان الموقف ليس بصالحه، قرر تلقينها درسا لن

تتساه ابدأ فرفع صوته قليلا لجعله مسموعا ثم هتف:

-انت طالق...

لم تستوعب ما قاله فرردت بعدم فهم:

-نعم!!

وبنبرة محتقنة اعادها على مسامعها:

-طالــــــــــــــــالــــــــــــــــق...

ثُمَّنْ بَاهِظْ

تسمر عون الامن في مكانه ظنا منه انها مشاكل عائلية،
في حين تعاطف الناس مع الصغيرة التي اعتبروها ابنتهما
اما هو فقد تركها ورحل محاولا كتم ضحكته من منظرها...

الفصل الثامن عشر

ذهول، صدمة، غضب وجمع غفير من الناس يتفرج، لفظ بالطلاق قبل الزواج ومغادرة بطل المسرحية غاضبا او على الاقل هذا ما يبدو، فتاة صغيرة تهز يدها تفيقها من شرودها ولا استجابة، فقط تحديق في شبحه يغادر المكان...

اقتربت عجوز مسنة منها تواسيها في مصيبتها:

-لماذا انفعلت يا ابنتي!! تحملي انه زوجك... اتبعيه

وحاولي تطيب خاطره من اجل ابنتكما، ما ذنب هذه

المسكينة لتكبر بعيدا عن حنانكما!! هو لم يطلقك بالثلاث

وكل ما يلزم هو عدة لتعود المياه الى مجاريها...

بعدم ادراك لما يحدث تطلعت للعجوز الناصحة، وددت لو

تسألها عما تهذي به!! اي زوج واي ابنة واي طلاق او

عدة!! هي تعلم ان الكثير من الفتيات يحصلن على عروض زواج خلال تواجدهن في المحلات التجارية، اما هي فقد حصلت على طلاق وابنة!! ضحكت بهستيرية ومن حولها يعتقدون انها في حالة صدمة وفعلا هي في حالة صدمة لكن لاسباب مختلفة، قبل يومين اتى الى مكتبها بقرار حازم بخطبتها دون انتظار ردها حتى واليوم طلقها!! اي جنون هذا!!

* * * *

السعادة تغمر قلبه والطمأنينة تسكن كيانه، اوضاع احبائه مستقرة وهو يمكن ان يرحل بسلام، ابنه الاكبر عزف اخيرا عن رفضه لفكرة الزواج وقرر ان يبدأ حياته مع ابنة اعز صديق له، ابنته الاصغر تحقق نجاحات متتالية ورجل محترم تتمناه اي فتاة تقدم لطلب يدها اما اوسطهما والتي اثارت قلقه عليها استقرت مع من عرف قيمتها وهاهي

ثمن باهظ

حفيدته جنة تداعب لحيته البيضاء بشقاوة، سمع صوت
دلال الأمر قائلا:

-جنة تعالي واطركي جدك ليرتاح قليلا...

قربها لحضنه اكثر مرددا:

-اطركيها... راحتي معها...

هتفت فائن بغيره واضحه:

-يا سلااااااااااا... الم تكن راحتك معي!!

ضحك لغيره ابنته وبشقاوة اجابها:

-راحتي معك طبعاً لكنك كبرت... ما رايتك ان تحضري لي

اميرة صغيرة تكون نسخة عنك...

ابتسمت بسخرية، المسكين لا يعلم انها تطلقت اليوم...

-ومن اين احضرها!! من السوق مثلاً!!

اعتدل في جلسته معدلا من نظارته فوق انفه قائلا بجدية:
-بالمناسبة، استاذك السابق ابراهيم الخليلي طلب يدك مني
منذ يومين قمت خلالهما بالتحري عنه وبصراحة لم أجد ما
يعيبه...

علا الضيق ملامحها وهي تستمع لكلام والدها، أكد جواد
كلام والده مضيفا:

-الرجل سمعته ابيض من الحليب، صحيح انه قليل الكلام
لكن اخلاقه لا غبار عليها...

ثم جاء دور والدتها فريدة لتدلي بأقوالها:

-انا اعرفه منذ سنوات طويلة، قدم مساعدات كبيرة
للجمعية، انه شخص نبيل بحق...

وكختام رأي دلال:

ثُمَّنْ بَاهِظْ

-صحيح اننا لم نعمل معا لمدة طويلة لكن سمعته في
الجامعة تسبقه بكثير، رجل طيب ومحترم حتى اخلاقه
عالية...

يبدو انه مارس نوعا من السحر على عائلتها، الكل يحبه
ويمدحه ولن تستغرب ان وقفوا بجانبه ضدها...

التفت الى ايهاب لتسأله بنبرة متهكمة:

-ماذا عنك!! الا تملك ما تضيفه!!

هز راسه بنفي قائلا:

-اسف فاتن لكنني لا اعرفه لأضيف...

زفرت بحلق مجيبة بحزم:

-أخبره انني غير موافقة...

ألقت كلماتها وصعدت الى غرفتها قبل ان يبادروها بالاسئلة
تاركة اياهم في حالة دهشة واستغراب...

* * * *

ابتسامة خبيثة تزين ثغره في كل مرة يتذكر ملامحها
المصدومة، كادت تسبب له فضيحة امام الناس فعدل
النتيجة في الوقت بدل الضائع، ود لو شاهد بقية الحدث
لكن الانسحاب كان افضل، يتخيل حالتها الآن، لابد وأنها
تدور في غرفتها بغضب ورأسها الصغير يرسم الف خطة
جهنمية للانتقام، يوقن انها لن تدع الامر يمضي مرور
الكرام وكما حدث في اول لقاء حين طالبتة باعتذار قد تعيد
الامر بشقاء...

ارتفع صوت هاتفه ليقطع عنه تخیلاته الممتعة، انتفض
بسرعة وهو ينظر الى هوية المتصل، اخيرا تكلمت عليه
العفريته القصيرة بالموافقة، اجاب الاتصال محاولا اخفاء
لهفته...

-السلام عليكم عم سليم...

ثُمنُ باهظ

-و عليكم السلام ابراهيم...

انتهى الحوار التقليدي وبدأت الجدية بالظهور:

-انا اسف يا ابراهيم، وودت كثيرا بمصاهرتك لكن فاتن رفضت...

ابتسم بسخرية، هذا هو انتقامها اذا!! كبرياءها يعاند وهو مصمم...

-لا تقلق يا عم، هذا قضاء وقدر...

اغلق سليم الخط وهو يتعجب من ردة فعله، انه حقا كما وصفه جواد كتلة من الجليد، يبدو ان فاتن محقة برفضها...

في الجهة الاخرى كان ابراهيم يستعد للنوم بسكينة، فغدا سيكون يوما جميلا وشائقا...

* * * *

وصلت الى عملها صباحا وغضب الامس لا يزال قابعا
بداخلها، لم تستمع لمساعدتها التي حاولت الكلام معها
وفتحت باب مكتبها بشئ من العنف لتتفاجأ به جالسا في
مكتبها باريحية ينتظرها، لوت شفتيها بسخط سائلة
بوقاحة:

-ما الذي اتى بك الى هنا!!

تظاهر بالتفكير قبل الاجابة:

-فكرت مليا وقررت التراجع عن طلاقك...

اغلقت الباب خلفها وجلست خلف مكتبها بمقابلته محاولة
الثبات... او على الاقل ادعاءه:

-اظن ان والدي قد ابغك بقراري لذلك من الافضل ان ترحل
بهذوء...

استرخى فوق كرسيه اكثر متسائلا بجدية:

-أتجدين الطهي!!

وبعصبية اجابت:

-كلا...

مط شفتيه بحزن مصطنع...

-اتريدين قتلي جوعا!!

بروده سيقتلها، الدم يفور في عروقها والنار تشتعل في عينيها وهذا بالنسبة له مشهي، صمتها واحتقان وجهها يدل على اقتراب العاصفة وهو لن ينتظر هبوبها بل سيواجهها، نهض من مكانه واستدار خلف المكتب اين تجلس بغضب، جذب كرسيها المتحرك ووضع كلتا يديه على جانبيه ليحاصرها، انحنى قليلا بجذعه الضخم فابتعدت للخلف بهلع متسائلة بتلعثم:

-ما الذي تفعله!!

ثمن باهظ

اقترب اكثر حتى شعرت بانفاسه الحارة تلفح وجهها، همس
برقة اذابتها واذابت كل مقاومة منها:

-اضعنا ما يكفي من الوقت فاتنتي وقد حان وقت اجتماعنا،
اريدك ولا شئ سيبعدك عني...

تحول وجهها للون الاحمر فتراجع قليلا يتأمل لون الكرز
الذي بات يعشقه، رمقها بابتسامة حانية وغادر، حاولت
التقاط انفاسها بصعوبة ولم تنتبه انه لا يزال واقفا عند
عتبة الباب يتأملها، شعرت بالخجل من منظرها امامه
فغمزها بشقاوة:

-حضري نفسك للخطوبة... يا عروسة...

الفصل التاسع عشر

زوجتك ابنتي... قبلت زواجها... كلمات بسيطة غيرت الكثير، لم تعد فاتن الشنقاوي بل فاتن الخليلي، ستحمل اسمه حتى اخر نفس تتنفسه، سعادة تغمرها وهي تتذكر ما حدث بعد ذلك اليوم حين زارها في المكتب، حملت حقيبتها واتجهت الى شركة والدها، ترددت في الدخول لكنها تشجعت، رسمت ابتسامة على وجهها وطرقت الباب بخفة، لم تصدق ما راته، ابراهيم مرة اخرى!! وقف والدها مرحبا بها:

-فاتن!! اهلا... جئت في الوقت المناسب يا ابنتي...

جلست على الكرسي المقابل لكرسي ابراهيم والتوتر يملأ كيائها، رمقها بنظرة حانية واستطرد قائلا بثقة:

ثمن باهظ

-اريد طلب يد ابنتك للمرة الثانية وبحضورها...

التفت ينظر اليها فلاحظ اشتعال وجنتيها من جديد، عانقت الارض بعينيها وهي تستمع لوالدها يمدح هذا الجالس امامها، بعدها سألها برفق:

-فاتن ما رايك يا ابنتي!!

حمرة وجهها تزداد ونشوته في اوجها، وبعد صمت طويل همست بخجل:

-ما تراه مناسباً يا ابي...

وقف سليم مصافحاً ابراهيم بحرارة:

-مبارك عليك يا ولدي...

ابتسم وهو يصافح حموه المستقبلي، ثم اضاف باهتمام:

-فلتحدد ميعاداً مناسباً كي نجعل الامر رسمياً...

ثمن باهظ

قاطعتهم بخجل مدعية اضطرارها للمغادرة وخرجت بسرعة قبل ان تخونها قدماها وتسقط، تابع تحركاتها المرتبكة حتى غادرت والفرحة تغمر قلبه، سمع صوت سليم فالتفت بتركيز:

-بصراحة قمت بالسؤال عنك والكل اكد انك انسان جيد لكن هناك شئ ما لا افهمه...

عقد حاجبيه بعدم فهم فأكمل:

-اين اهلك!! لماذا تعيش وحيدا!!

شرد لبرهة في ذكريات حدثت منذ عشر سنوات ثم قال برسمية:

-عائلتي توفيت منذ عشر سنوات لذلك اعيش وحيدا منذ ذلك الوقت...

سليم باسى:

-اسف لم اكن اعلم...

بابتسامة حزينة هز راسه:

-لا عليك... تخطيت الامر...

تتحنح سليم ليبدأ الكلام مرة اخرى:

-ابراهيم... ابنتي ستكون امانة في رقبتك وكن على يقين
انني سأطالبك بهذه الامانة يوم القيامة... اياك ان تحزنها
او تكسرها لانني لن اسامحك وسأطالب بحقي فيها امام الله
عز وجل...

استمع لكلماته بانصات شديد، تبدو مخيفة بعض الشيء لكن
معه حق وهو لن يؤذيها بل سيحميها...

-لا تقلق يا عم... سأحافظ عليها...

تنهد بشئ من الارتياح ثم اضاف:

-هناك شئ مهم يجب ان تعرفه...

ضيق عينيه باهتمام فواصل:

-فاتن ولدت بمرض في قلبها... يجب ان تبتعد عن كل ما
يزعجها او يضايقها حتى لا تتعرض لسكتة قلبية...

اندهش مما يسمعه، تلك القصيرة المفعمة بالحياة
والنشاط مريضة!! شعر بانقباضة في صدره حين فكر في
احتمالية موتها، هز راسه بعنف طاردا الافكار من راسه
وقال بحزم:

-اعدك ان اكون قدر المسؤولية ولن ادع مكروها يحدث
لها...

اتفقا على اقامة حفل الخطوبة بنهاية الاسبوع القادم ثم
استأذن بالمغادرة، اتصل بصديقه احمد يعلمه بموعد
الخطبة، احمد وحياء بمثابة عائلته ولن يطلب من غيرهما
مرافقته...

وصل الموعد الذي ينتظره الجميع، منزل عائلة الشنقاوي
يحضر للخطبة على قدم وساق والكل يشعر بالسعادة من
اجل فاتن... وقفت امام المرأة تتأكد من مظهرها وفجأة
ظهر ادم بمرحه المعتاد...

-الدبة الكسلانة ستتزوج!! لا اصدق...

وكزته في كتفه بابتسامة قائلة بغرور:

-ابدو جميلة أليس كذلك...

تراجع للخلف قليلا يتفحصها، مط شفتيه بعدم اقتناع واجاب
مغيظا:

-تبدين كالباندا تماما...

عضت شفتها السفلى بحلق متجاهلة تعليقاته اللاذعة...
جذبها الى صدره يحضنها بحنان اخوي:

ثُمَّ بَاحِظُ

-تبدین فی غایۃ الجمال عزیزتی، ستفقدين الاستاذ ابراهيم عقله...

ابتسمت بغطرسة مرة اخرى فسألها بجدية:

-كيف ستتأدينه بالمناسبة!!

تحسست ذقنها بتفكير:

- لا اعلم... لطالما ناديته استاذ وسيكون من الغريب

مخاطبتہ باسمہ مجردا...

هم ان یرد لکن دخول وفاء قاطعه:

-فأاالتن!! ما كل هذا الجمال!! الف مبروك حبيبتى...-

عانقتها بحب قائلة:-

-شكرا فوفة... اتمنى ان نفرح بك وبجواد قريبا ايضا...

اشاحت وجهها بعيدا بخجل فردد ادم بسخرية:

-غريب امركن يا فتيات...

رمقته الفتاتان بعتاب فانسحب من الغرفة قبل ان تشكلا
حلفا ضده...

في هذه الاثناء كان ابراهيم يجلس بجانب عمه سليم وجياد
اضافة الى احمد والعم حسين وايهاب ومصطفى، دخل ادم
قاعة الجلوس فسلم على اساتذته وقال بتلقائية:

-انتظروا لتروا العروس... تبدو فاتنة...

رمقه ابراهيم بنظرات محذرة لكنه لم يهتم، واصل حديثه
الشقي:

-حتى وفاء تبدو رائعة...

ضغط جياد على الحروف بين شفثيه قائلا بضيق:

-الادم...

ادعى عدم الفهم مضيفا:

-لا تقلق اختك اجمل بكثير... اه عفوا انها اختي ايضا وهي جميلة...

كور ابراهيم قبضته بغضب واضح، لاحظته احمد فربت على يده بهدوء لتهدئته... دخلت فريدة القاعة مع دلال وحياء قائلة:

-حان وقت الخواتم يا سادة...

خفق قلب ابراهيم بتوتر وهو ينتظر قدومها، ظهرت برفقة وفاء فتوقف نبضه للحظات، الغبي ادم معه حق تبدو فاتنة، ترتدي فستانا طويلا يحضن خصرها برقعة ومتسع في الاسفل اكمامه عريضة وحجرات كريستالية تناثرت بعشوائية، تلف حجابا بنفس لون الفستان حول وجهها... جلست بجانب والدها بخجل فافتتح احمد الجلسة بقوله:

-نحن هنا اليوم لطلب يد ابنتكم فاتن لابننا ابراهيم على سنة الله ورسوله...

صمت قليلا ثم قال:

-اقصد اخينا ابراهيم وليس ابننا، نحن بنفس السن ولو انه تزوج ابكر لكنا بصدد خطبة ابنته لمصطفى...

تبادل الجميع الضحك على نكتته الطريفة وبعدها بلحظات كانت موافقة سليم لتتطلق زغاريد النساء السعيدة... وقف ابراهيم بجانب فاتن وقاما بتلبيس الخواتم تحت اضواء عدسات التصوير، حضنتها والدتها تبارك لها بدموع الفرح تبعثها حياة ودلال ثم حان دور جياذ وما ان حاول ادم الوصول اليها حتى وقف ابراهيم بينهما ليحضنه بدلا منها، كتمت ضحكتها بصعوبة لكن ادم خالف توقعاتهما فبعدها افلته ابراهيم اتجه نحوها بمشاكسة كاد يفقد حياته ثمنا لها، اقترب منه مزجرا في اذنه:

-ابتعد عنها ادم...

وبنظرات متحدية كانت الاجابة...

-انها اختي استاذ...

ابتسامة صفراء رمقها به ثم طلب من حموه ان يسمح لهما
بالكلام قليلا، استجاب سليم لطلبه ساحبا الجميع خلفه...
اخيرا استطاع الجلوس معها لوحدهما، اقترب منها بهدوء
ليهمس:

-مبارك لك قصيرتي...

رفعت عينيها بغيظ هاتفة:

-انت طويل اكثر من اللازم...

ابتسم بانتصار، اخيرا اخرجها من الخجل الذي يكتنفها
وعادت اليه تلك الثائرة التي عشقها...

-بل انت القصيرة زيادة...

يبدو انه مصر على اغاظتها، زمت شفتيها بحنق وهمت
بالمغادرة فأوقفها قائلا:

ثمن باهظ

-رقم هاتفك...

نظرت اليه بعدم فهم فواصل:

-اريد رقم هاتفك لاتصل بك حين احتاجك...

رددت في نفسها باستهزاء:

-الا يمكن ان تقول حين اشتاق لسماع صوتك!!

اخذت هاتفه وسجلت رقمها قائلة:

-اوامر اخرى!!

هز راسه نافيا فغادرت بغضب في حين ابتسم هو بنشوة

كعادته...

الفصل العشرون

اخرجها صوته من ذكريات خطوبتها، التفتت تنظر حولها فلم تجد احدا، يبدو ان الجميع انسحب فور انتهاء عقد قرانها تاركينها معه... لوحدهما!!

-فاتن الخليلي يبدو اجمل أليس كذلك!!

رفعت عينيها تنظر اليه بجمود، اي رجل هذا!! متى سيتخلى عن جموده!! مطت شفتيها مجيبة بغطرسة:

-اي اسم سيصبح جميلا اذا اقترن باسم فتاة مثلي...

رفع حاجبه بسخرية ثم ضحك بتهكم:

-فتاة!! انت الان سيدة... سيدة فاتن...

نظرات خاوية رمقته بها ووقفت مغادرة، اوقفها بلهجة
أمرية:

-فلتجهزي نفسك، سأمر عليك وقت الغذاء في المكتب...
لم تجب او ترد فقط واصلت طريقها بتفكير، لقد اصبحت
زوجته شرعا وقانونا ولم يتبق سوى حفل زفاف لتنتقل
للعيش معه الى الابد، شعور بالتردد بدأ ينتابها، خطوبتهما
دامت لمدة شهرين لم تره خلالهما سوى مرات قليلة تعد
على الاصابع، لم يسمعها غزلا ولو مرة واحدة بل لم يكن
يتصل الا نادرا، يستفزها في كل مرة تراه فيها ويتفنن في
اغاظتها كلما سنحت له الفرصة، لماذا تزوجها اذن!! في
البداية ظنت انه يحبها لكنها لم تعد تصدق الامر، ايمكن انه
يريد الانتقام منها!! تراجعت عن هذه الفكرة فلا يمكن لرجل
ان يتزوج فتاة بدافع الانتقام من شئ تافه كجعله يعتذر في
قسم الشرطة... لكن ما تفسير تصرفاته اذن!! هذا هو

التفسير المنطقي الوحيد... اخرجت نفسا حار تحاول تهدئة
النار بداخلها، نفضت الافكار عن راسها تنتظر قدوم الغد
لتفهم منه كل شئ...

* * * *

ظلام دامس يلف المكان، صمت مطلق الا من صوت قطرات
ماء حنفيه تنزل كل دقيقة، افكار شيطانية تتضارب وكره
طال امده وحن وقت خروجه، خروج سيكلف الكثير،
ابتسامة مشبعة بشماتة نصر بات قريبا، وانتقام سيثلج
صدره اخيرا، انتقام ممن يصر انه كان السبب في سجنه
خمس سنوات خلف القضبان، الخطة محكمة وليس عليه
سوى التنفيذ، هذه المرة هو ليس لوحده فهناك شخص اخر
يكره عدوه ايضا بنفس المقدار او ربما اكثر لا يهم، المهم
انهما سينتقمان معا، سيذيقانه مرارة الحرمان من جديد ثم
يلقيان به الى قلب الجحيم ليحترق بأفعاله... اغمض عينيه

استعدادا للغوص في عالم الاحلام، عالم يتلذذ فيه بحلاوة
انتقام قريب...

* * * *

اسندت ظهرها على كرسيها الوثير بتعب، الاوراق تغرق
مكتبها ورأسها شارد، تفكر في لقاء اليوم وما الذي
سيحمله في طياته، لقد اخذت قرارا حاسما بمواجهته،
مصرة هي على اخذ اجابة شافية منه مهما كلفها الامر،
القت نظرة على هاتفها ومرة اخرى لا يوجد اتصال، فكرت
في المبادرة لكنها تراجع، اخبرها انه سيمر لاصطحابها
وبالتأكيد سيفعل، لا تعلم كم مر من الوقت وهي تنتظر
وهاهو اخيرا يتصل، ضغطت زر الاجابة بعد ثالث اتصال
لتسمع صوته يردد كلمة واحدة:

-انزلي...

ثمن باهظ

حملت حقيبتها ونزلت الدرج بتكاسل، تساءلت ان كان بإمكانه تكوين جملة مفيدة كاملة، لطالما اكتفى بكلمة واحدة منذ اول يوم عرفته... اسف، اغار، انتظريني ثم الخاتمة فلنتزوج، ابتسمت بسخرية وهي تفتح باب سيارته لتستقر الى جانبه، القى عليها نظرة وتحرك بالسيارة الى وجهة غير معلومة لها، لم يكلف نفسه حتى عناء القاء التحية وهي طبعاً لن تفعل، بعد ساعة من السير توقف امام احد المطاعم المظلة على البحر وباشارة من عينيه امرها بالترجل، سارت بجانبه الى الداخل وجلست على طاولة اختارها بنفسه، لا يزال الصمت سيد الموقف، جالت بعينيها في ارجاء المطعم تستكشفه في حين ظل هو يتأملها ثم همس بهدوء:

-فاتن...

ثَمَنٌ بَاهِظٌ

كادت تطلق زغاريد بمناسبة سماع صوته لكنها اكتفت

بتوجيه نظراتها اليه اي نعم!!

انحنى على الطاولة قليلا متسائلا بجدية:

-ما الذي تعرفينه عني!!

فكرت لبرهة، هي فعلا لا تعرف الكثير وما تعرفه لا يتجاوز

بضع معلومات يتداولها الجميع...

-كل ما اعرفه هو اسمك وعملك...

ابتسم بمشاكسة:

-وما هو اسمي!!

اخفضت عينيها بخجل اشعره بالسعادة، اعد سؤاله مرة

اخرى فهمست بخفوت:

-الاستاذ ابراهيم...

انطلقت ضحكة مدوية منه اربكتها ثم عاد يقول:

-وماذا ايضا يا طالبة!!

شعرت بالغضب مرة اخرى فهتفت بسخط:

-انا مهندسة ديكور ولست طالبة...

في هذه الاثناء جاء النادل بطلباتهم فساد الصمت مرة اخرى، بدأ يتناول طعامه بشهية مفتوحة في حين ظلت تتأمله بابتسامة لاحظها هو:

-ابدو وسيما لدرجة انك لا تتناولين طعامك!!

زفرت بغیظ وحملت شوكتها دون اجابة، ابتسم من منظرها وواصل استفساراته...

-ما الذي تعرفينه عن شخصيتي!!

اخذت نفسا عميقا ونظرت في عينيه بتحدي مجيبة:

-كتلة من الجليد، بارد، لا تمتلك مشاعر، تمتلك وغامض...

اتسعت ابتسامته اكثر ثم اضاف بجدية:

-ماذا عن كاذب ويستمتع باهانة طلابه، مغرور و... سافل!!
اتسعت عيناها بصدمة، الا يزال يذكر!! عادت فكرة الامس
تغزو عقلها، يريد ان ينتقم اذا!! لاحظ حيرتها وشرودها
فلوح بيده امام وجهها:

-فاتن كنت امزح، ما بك!!

لا تصدقه، لابد انه يفكر بالانتقام ولا يوجد مثل الزواج
للوصول الى مبتغاه والا ما كل هذا الجفاء!!
هبت واقفة فجأة تهم بالمغادرة فامسك كفها يمنعه، جذبها
برفق ليجلسها قائلا بركة:

-لماذا غضبت!!

نظرت اليه بتفحص كأنها تحاول سبر اغواره، ثم القت
بكلمة هي الاخرى:

-لماذا تزوجتني!!

هذه المرة كان الارتباك من نصيبه، سؤال لم يتوقعه اطلاقاً
وخاصة منها، اكتفى بالصمت ووقف يدفع الحساب دون
جواب، تبعته بهدوء ثم تخطته نحو السيارة، تبعها بعد
لحظات قليلة، فتح الباب وجذبها من يدها برفق، اتجها الى
شاطئ البحر ويدها لا تزال عالقة في يده...
-اسفة...

التفت اليها بدهشة، ثم سألها بعدم فهم:
-لم الاسف!!

تأملت البحر وهي تجيب:

-لاني تفوهت بذلك الكلام الغبي في حقك...

حانت منه ابتسامة مشرقة كادت تفقدها وعيها وهو يقول:

-لا تقلقي قصيرتي... لست غاضباً...

زمت شفتيها بغضب مرة اخرى وافلّلت يدها بسرعة
امامه، اسرع خطاه خلفها واحاط كتيفيها بذراعه غامزا
بشقاوة:

-تبدین لذیذة حین الغضب فاتنتي...

حمرة هاجمت وجنتيها من جديد، حاولت الهروب ببصرها
من نطاق عينيه فجلست على الرمال بتلقائية، جلس الى
جوارها يتطلع الى منظر البحر امامه بسكينة، شعر بتردها
فحثها على التكلم... سألته بتلعثم خجل:

-كيف ماتت عائلتك!!

برقت عيناه بحزن واضح، اغمض عينيه لبرهة ثم فتحهما
ببطئ قائلا بألم:

-كنا ذاهبين الى حديقة الحيوانات احتفالا بتفوق اختي
واخي، توقفت بجانب الطريق لشراء بعض الضروريات
وحين عدت رايت شاحنة ضخمة فوق السيارة ورجل يترجل

ثمن باهظ

منها بعدم توازن، اظهرت التحقيقات فيما بعد انه كان ثملا
وحكم عليه بالسجن لمدة طويلة لكن سجنه لن يعيد والذي
ولا اخوتي...

شعرت بانقباضة في قلبها وهي تستشعر مدى ألمه، لابد انه
يلوم نفسه ويحملها ذنب الحادث، ودت لو تستطيع التخفيف
عنه لكن الكلمات لا تكفي، مدت يدها لتمسك بكفه قائلة
بحنان:

-هذا قضاء الله وقدره فلندع لهم بالرحمة عسى ان يسكنهم
الرحمن فسيح جنانه...

تأملها بعمق وهو يستمع الى كل حرف من كلماتها، رقتها،
حنانها همساتها كل شئ فيها يشعره بالارتياح، اسند رأسها
على كتفه قائلا كلمة اخرى اسعدت قلبها:
-أعشقتك...

الفصل الواحد والعشرون

عاد الصمت يخيم عليهما من جديد، اعتراف اطرب قلبها وكاد يفقدها عقلها، ألجم كلماتها وافقدها السيطرة على نفسها، ساعة مرت ورأسها لا يزال مستريحا على كتفه، تتمنى لو تستطيع البقاء هكذا لاطول مدة ممكنة، اما هو فكان يشدد قبضته حول كتفها كأنما يخشى فراقها، ظلا يتطلعان الى زرقة المياه امامهما وكلاهما يرسم احلامه الخاصة برفقة الآخر، حياة سيتقاسمانها بحلوها ومرها وأيام سيعيشانها أبد الدهر والاحلى انهما سيكونان معا...
تحنحت في جلستها قليلا فرمقها بابتسامة ذابت لها...
-فلنذهب...

ثمن باهظ

اومات راسها بمواقفة ومدت يدها لكفه المبسوطة امامها
تساعدها على الوقوف، تشابكت اصابعهما واتجها نحو
السيارة بهدوء، في الطريق بادرت هي بالكلام:

-جياذ سيتزوج بعد يومين...

هز راسه قائلا:

-اتصل بي منذ ايام ودعاني لحفل زفافه...

عادت تسأله بحذر يغلفه الخجل:

-ستأتي اليس كذلك!!

غمزها مرة اخرى بشقاوة:

-تشتاقين لرؤيتي!!

ادارت وجهها تنظر من خلال نافذة السيارة مغممة:

-مغرور....

ثمن باهظ

ابتسم اكثر يسألها:

-ألن تتوقفي عن التفوه بهذه الكلمات!!

تبا هذا سؤال محرج... تلعثت في اجابتها ووجنتيها
تشتعلان اكثر:

-انا... انا لم... اعني انني... اا

ضحك بنشوة لتعثر كلماتها ثم اجاب سؤالها الاساسي بنظرة
ماكرة رمقها بها:

-بالطبع ساتي... وهل افوت على نفسي فرصة مشاهدة
القمر!!

القت نظرة على نفسها في مرآة السيارة الداخلي قائلة
بنرجسية:

-فاتنة انا كاسمي...

نظر اليها بشئ من الريبة قائلا:

-لكنني كنت اقصد وفاء وليس انت...

درجة الغليان هذه المرة وصلت المئة وربما تخطتها...

-اوقف السيارة... قلت لك اوقف السيارة...

ركز نظره امامه ولم يعرها اهتمامه فمدت يدها بحركة جنونية الى المقود افقده سيطرته عليها للحظة، استعاد السيطرة وتوقف جانبا واستدار اليها بغضب هاتفا:

-أجنتت!!

لم تجبه، فقط فتحت الباب وترجلت تبعثها نظراته المندهشة، ترجل هو الآخر وعيناه تشتعلان نارا، لحق بها وامسك ذراعها بقسوة يديرها لمواجهته، رجها بشئ من العنف قائلا:

-اركبي السيارة حالا واياك ومعاودة الكرة...

خلصت ذراعها من قبضته واقتربت منه اكثر قائلة بتحدي:

-فلتذهب الى وفاء...

تذكر سبب غضبها فضحك بصوت مرتفع اخافها، اقترب
خطوة فتراجعت خطوتين ثم مال على اذنها هامسا بخبت:

-ما رأيك ان نسبقهم ونقيم حفل زفافنا غدا!!

زمت شفتيها بغضب وعادت الى السيارة مغلقة بابها بعنف،
ركب الى جوارها قائلا بحزم:

-افرغي غضبك على اي شئ آخر لكن باب السيارة لا...

ابتسمت بمكر، اخيرا عرفت بما تغيظه، الان ستتفنن في
اغضابه... وصلا الى مكتبها فترجلت مودعة برقعة:

-قد بمهل ولا تسرع ولتتصل بي عندما تصل حتى لا اقلق...

رفع حاجبيه باستنكار، لا يصدق ما يسمعه، لابد وانها
تخطط لكارثة... ابتسمت بخبت واضح وتراجعت قليلا

للوراء لتصفع الباب بقوة اهتزت السيارة لها وغادرت
تاركة اياه ثائرا في حمم بركانه الخاصة...

* * * *

اضواء ملونة، كراسي منظمة، طاولات اكل ممتلئة
ومدعوون يتوافدون بكثرة، وقفت تتأمل وجوه الحاضرين
تبحث عنه بينهم لكن لا احد يشبهه، تبا يبدو انه لم يحضر
بعد، شعرت بيد صغيرة تجذبها فاستدارت لتجد جنة تخبرها
ان العروسة تريدها، اتجهت الى غرفة وفاء وعيناها لا
تزالان في رحلة بحثهما، طرقت الباب بخفة واطلت براسها
لتطلق صفيرا عاليا...

-اتريدين تجنين اخي يا هذه!!

ابتسمت وفاء بخجل قائلة:

-فاتن انا خائفة...

اقتربت منها تحضنها بحنان لتخفف من حدة توترها...

-لا تقلقي عزيزتي كل شئ سيكون على الف ما يرام...

طرقات متتالية على الباب انبأت بحضور ادم المشاغب...

-اياك والبكاء وفاء والا ستفسدين زينتك وقد يغير جياذ

رايه فتظلين عانسا الى الابد...

قذفته بمروحيته فابتعد عن مرماها لتصيب جياذ الذي هم

بالدخول، شهقت بفزع في حين انفجر ادم ضاحكا:

-انقلب السحر على الساحر هاهاها...

دفعه جياذ ليتقدم نحو عروسه اكثر وعيناه تشعان حبا:

-حان وقت الذهاب فوفتي...

اخفضت عينيها بخجل ووضعت اصابعها في كفه لتسير

بجانبه وسط زغاريد النساء وعدسات المصورين، كاد ادم

يتبعها لو لم تجذبه فاتن من يده سائلة باهتمام:

-هل اتى!!

نظر اليها بعدم فهم:

-من!!

فاتن بعصبية:

-ومن غيره!! اقصد الاستاذ ابراهيم...

ضحك بسخرية مجيبا:

-يبدو انه منشغل في احد المحاضرات مع طالبة جديدة...

دعست قدمه بكعب حذاءها فتأوه بالم...

-لا تعبث معي ادم...

تركته واتجهت للأسفل تعيد الاتصال به للمرة الالف ولا
اجابة... لمحت احمد من بعيد فاقتربت منه محيية ثم سألته
بلهفة:

-اتصلت بالاستاذ ابراهيم مرارا لكن هاتفه مغلق هل هو
بخير...

استغرب من لفظة "استاذ" لكنه اجابها على سؤالها:
-انه مريض...

اتسعت عيناها بذهول فاستطرد قائلاً:
-لا تقلقي انه بخير...

شكرته وذهبت حيث يجلس والدها لتقول بهدوء:
-بابا اريد مفاتيح سيارتك لو سمحت...
سألها بقلق:

-ماذا هناك فاتن!! الحفلة بدأت للتو...
ارتبكت قليلا ثم استرجعت ثقتها:

-طراً امر مهم في المكتب ويجب ان اذهب بنفسى...

لم يقتنع بحجتها لكنه اعطاها المفاتيح باستسلام... قادت السيارة بسرعة نحو عنوان اختلسته مرة حين كانت طالبة والغريب انها لا تزال تحفظه بدقة، صفت السيارة وصعدت الدرج بسرعة متعثرة في فستانها، وقفت امام الباب المطلوب ودقت الجرس بلطف... دقائق ولا اجابة، عادت تدقه مرة اخرى واخرى بلا فائدة، تسلل القلق الى قلبها وهي تفكر في اسوا الاحتمالات، تحسست جبينها بعصبية تفكر في حل لكسر الباب ان اضطر الامر، ضربت الباب برجلها هذه المرة فظهر خلفه والدهشة تعلو وجهه، يبدو شاحبا والعرق يتصبب من جبينه، هالات سوداء تحيط بعينه والتعب جلي على ملامحه...

-ما الذي اتى بك الى هنا!!

توترت للحظة ثم اجابته بخجل:

-اخبرني الاستاذ احمد انك مريض فلتيت للاطمئنان عليك...

استدار بظهره داخلا وترك الباب مفتوحا فدفقت وراءه،
القي بجسده المتهاك على اريكة في حين ظلت تتأمل
المكان، انبهرت من اناقة وبساطة الشقة، تبدو نظيفة جدا
على الرغم من انه يسكن وحده، جلست بمقابلته تتلفت
حولها ثم انتبهت انه غفا على الاريقة، اقتربت منه هامسة:
-لا تتم هنا ستؤلمك ظهرك، قم الى غرفتك...

ردد بصوت يكاد يكون غير مسموع:

-انا بخير...

جذبه من ذراعه برفق تساعده على الوقوف متسائلة:

-اين غرفتك!!

اشار بيده في اتجاه غرفته فساعده للوصول اليها ثم
الاستلقاء في فراشه، بحثت عن قطعة قماش نظيفة لتبللها
وتضعها على جبينه علها تخفض حرارته، بعدها اتجهت

الى باب الخروح اين لمحت خزانة الاحذية قبل دخولها،
فتحتها واخرجت حذاء منزليا يخصه فارثته لتريح قدميها
من الكعب العالي، اقلت نظرة على نفسها في المرآة
وضحكت، تبدو كالبطريق في حذاءه الكبير، خلعت حجابها
واتجهت الى المطبخ تعد له حساء امها السحري... بعد
ساعتين من الجهاد في المطبخ انتهت اخيرا، بحثت عن
صحن لتقدم له الحساء فلمحته في خزانة عالية، مدت يدها
لتحضره لكن طولها حال بين ذلك، وقفت على اصابع
قدميها لتعيد المحاولة وفجأة امتدت يده بجانبها ليناولها
الصحن المنشود في حين التفت ذراعه الاخرى حول
خصرها تجذبه اليه ليلتصق ظهرها بصدره، اسند ذقنه على
كتفها يلامس بشرتها الناعمة بلحيته الخشنة ثم سألها
بخفوت:

-ما الذي تفعلينه!!

اجابته بخجل:

-حضرت لك حساء سيساعدك على الشفاء...

ادارها اليه لتواجهه قائلاً:

-الحساء لن يشفيني لكن نكهة الكرز ستفعل...

لم يتح لها فرصة الرد فقط التهم شفتيها في قبلة طويلة
دافئة ألجمتها، جحظت عيناها برعب فدفعته بغضب تحاول
التقاط انفاسها، تراجع قليلا متمالكا نفسه فتخطته الى قاعة
الجلوس تعيد لف حجابها، اسند كتفه الى الباب يتأملها
بهيام ثم همس بخفوت:

-فاتن انا اسف... لم استطع تمالك نفسي اكثر و...

خطى خطوتين نحوها فهتفت بتلثم:

-سأغادر الان... اهتم بنفسك ولا تتعبها زيادة...

ثمن باهظ

حملت حقيبتها و غيرت حذاءها مغادرة دون الالتفات الى
الوراء...

الفصل الثاني والعشرون

وقف امام مرآة ضخمة يجاوره احمد، التوتر يغلف كل خلية من جسده وان لم يعترف، قلبه يدق بسرعة رهيبة لدرجة انه سيتوقف في اية لحظة، مد يده يعدل من ياقة قميصه فربت احمد على كتفه بمرح:

-مبارك يا عريس...

ابتسم بهدوء يحاول اخفاء توتره ثم حضنه بامتنان:

-شكرا لوجودك معي احمد...

ضربه على صدره يمازحه:

-هل سنقلبها دراما ام ماذا!!

اخذ نفسا عميقا قائلا:

-الدراما الحقيقية ستبدأ مع عروسي...

ضحك احمد بسخرية:

-دراما من نوع خاص، الى درجة ان تجعلك تلعن اليوم
الذي قابلتها فيه...

ظهرت حياة في هذه اللحظة والغضب يعلو وجهها:

-هكذا اذن سيد احمد... متى جعلتك تلعن يوم لقائنا!!

احتقن الدماء في وجهه وهو يردد:

-انا لله وانا اليه راجعون... اشهد ان لا اله الا الله وان محمد
رسول رسول الله...

تبادل ابراهيم الضحك معه في حين خرجت غاضبة وهي
تتوعده بما لا يحمد عقباه...

* * * *

ثمن باهظ

سألت والدتها للمرة الالف:

-كيف ابدو امي!!

اغضت عينيها لتجيبها بنفاذ صبر:

-تبدين رائعة، مبهرة...

مطت شفتيها بعدم اقتناع ثم سمعت صوت ادم المدوي:

-لا يجوز الكذب يا خالة... اخبريها انها تبدو مخيفة...

علا صوتها بحدة:

-الادم.....

واصل لعق المثلجات في يده بتلذذ قائلاً:

-تحبين المثلجات اليس كذلك... تذوقوها انها لذيذة...

ابتعدت بسرعة عنه كمن يهرب من كلب مسعور:

-ادم ستفسد فستاني ابتعد...

ارتفع صوت جياذ فجأة مزجرا بيأس:

-ألن تكفوا عن هذه التصرفات الصبيانية!!

هدأ الاثنان ينظران اليه فاستطرد:

-عريسك وصل فاتن حضري نفسك وانت ادم تصرف

كالبالغين...

طرق الباب فالتفت الجميع يترقبون القادم، اطل ابراهيم

بابتسامة مشرقة سرعان ما تحولت الى ذهول لرؤية

عروسه، وقف يحدق بها بحب لكن مفسد اللحظات الجميلة

تدخل قائلا:

-تأخرت خمس دقائق استاذ...

رمقه جياذ بنظرات نارية فهز كتفيه بلا مبالاة مضيفا:

-لقد كان يطرد من صفه كل من يتأخر دقيقة واحدة...

ثمن باهظ

التفت ينظر اليه شذرا ثم اتجه نحو فاتن التي تابعت ما يحدث بضحكة مكبوتة، وقف امامها مادا ذراعه فتأبطتها بخجل، سار بها الى مخرج المنزل وسط جو مهيب من زغاريد اختلطت بدموع الفرح وورود حمراء تناثرت عليهما، ساعدها في الصعود الى السيارة وركب خلف المقود بجانبها منطلقا نحو صالة الاحتفال ومرة اخرى كان الصمت هو سيد الموقف فقرر كسره بقوله:

-اخيرا اصبحت ملكي...

توردت وجنتيها من جديد دون اجابة فواصل باستفزاز هذه المرة:

-اخيرا تخليت عن غرورك يا مغرورة...

نظرت اليه بحنق مجيبة:

-اخيرا ذاب قناع الجليد عن وجهك...

ثمن باهظ

ابتسم بنصر مشاكسا:

-ذاب في حضرتك يا عفريته...

هتفت فيه بغیظ:

-ابراااهيم...

كاد يوقف السيارة حين سمع اسمه مجردا يخرج من بين

شفتيها، استدار ينظر اليها بعدم تصديق:

-اعيدي ما قلته للتو... لم اسمع جيدا...

اشاحت وجهها بعيدا بخجل فوكزها في كتفها مداعبا:

-هيا فائن... اعيدي ما قلت...

لم تجد مهربا من اصراره فرضخت لطلبه مرغمة، همست

بخفوت:

-ابرااهيم...

ثمن باهظ

رباه، الان بات يعشق اسمه، يبدو اجمل بكثير حين تتلفظ
هي به، ضم اصابعها بين كفه قائلا:

-احبك فاتن... احبك حبيبتى...

حمدت الله ان وصلت في الوقت المناسب والا لأغمي عليها
في السيارة...

تأبطت ذراعه من جديد لدخول القاعة على انغام موسيقى
هادئة، جلسا في المكان المخصص لهما وبدأ المهنئون
يتوافدون عليهما افواجا، استرق لحظة ليهمس لها في
اذنها:

-بالمناسبة، حضرت لك مفاجاة بعد الحفل...

ضيق عينيها بفضول فمنعها من التفوه بأي سؤال:

-لن اخبرك بشئ لا تحاولي...

مطت شفتيها بدلال انثوي في محاولة منها لاختبرها لكنه لم يلمح لها حتى... انتهى الحفل فودعت عائلتها واستقرت بجواره مرة اخرى في السيارة الى وجهة المفاجأة المزعومة، توقف امام منزل يتكون من طابقين وطلب منها مرافقته، بدأت الاستنتاجات تقفز الى عقلها، ابتسمت بفرح وهي تفكر انه اشتراه لها، فتح الباب ودخلت خلفه تستكشف المكان والغريب ان المنزل شبه فارغ، تساءلت عن السبب فاجابها:

-اشتريت المنزل لكنني اردتك ان تصمي الديكور الداخلي بنفسك...

اتسعت عيناها بذهول وقفزت تعانقه بلا وعي:

-شكرا، شكرا، شكرااااا...

احاط ذراعه بخصرها فلفتبتهت لما فعلته، تراجعت بخجل وارتابك مرعدة:

-اسفة، تحمست زيادة و...

قاطعها بابتسامة محاولا رفع الحرج عنها:

-كيف وجدت المنزل!!

عاد الحماس يشع في عينيها من جديد وهي تدور بفستانها الابيض العريض في الارحاء:

-سألون هذه القاعة باللون الابيض مع بعض البقع العشوائية بالاسود، سأضع اريكة كبيرة وانيقة هنا مع طاولة زجاجية مدورة...

كادت تتعثر في فستانها وهي تنتقل من غرفة لآخرى، تفكر، تتخيل ثم تقرر، توقفت اخيرا تنظر اليه لتجد ابتسامة ساحرة على وجهه وهو يتبعها من مكان الى اخر، صممت لوهلة متساءلة عما اصابه فقال بحنان:

-اثق بذوقك فانتتي لهذا تركت لك المهمة...

اقترب منها اكثر يجذبها من يدها الى الطابق العلوي قائلا
بخبت:

-تعالى سأريك غرفتك... اقصد غرفتنا...

طأطأت راسها بخجل تتبعه فابتسم بنشوة من جديد، ادخلها
الغرفة فتفاجأت بها مجهزة بكل شئ...

-قررت ان اجهز الغرفة بحسب ذوقي، ما رايك!!

دارت في انحاء الغرفة قائلة بغطسة:

-لا بأس بها، تحتاج الى بعض التعديلات وستصبح رائعة...

اجابة متوقع، هز راسه بقله حيلة قائلا:

-سأنتظر بالخارج حضرة المهندسة، جهزي نفسك

للصلاة...

اتجهت الى حمام ملحق بغرفتها وغيرت فستانها بحجاب
محتشم، فتحت الباب فدخل يئماها في الصلاة، وقفت خلفه

فكبر بهدوء، فقدت خشوعها وهي تستمع لصوت ترتيله، ازداد خفقان قلبها وسرت رعشة في كامل جسدها حين سلم من الصلاة واستدار ينظر اليها باشتياق، وقف من مكانه متجها نحوها فسمع صوت انكسار زجاج نافذة بالاسفل، التصقت به بخوف فطلب منها البقاء في الغرفة ريثما يرى ما الذي يحدث، اصرت على مرافقته لكن نظرة حازمة منه اخضعتها...

نزل الدرج بحذر نحو النافذة المكسورة فلم يجد شيئا سوى حجر كبير، شعر بحركة خلفه فاستدار ليجد ملثمين ضربه احدهما بعصا حديدية افقدته وعيه مباشرة...

الفصل الثالث والعشرون

الساعت عن الحق شيطان اخرس... مقولة آمن وعمل بها
فكلفته الكثير، شهد الحق فانقلب الامر عليه... حقد ولد في
قلب مريض، غذته ايام بين جدران السجن وهاهو يخرج
لينفث سمه على من اعتقد انه السبب، صدفة جميلة جمعته
بسكير يتغذى على الكره هو الآخر وصداقة نمت لتدمير
العدو، عدو حان وقته ليدفع الثمن... والثمن باهظ...
ظلام دامس وجفنين تعانقا بألم فصعب تفريقهما، سائل لزج
ينزل ببطئ شديد على رقبتة وهمهمات بكاء انثى...
فتح عينيه ببطئ والرؤية غير واضحة، غشاء ابيض
يحجب عنه النور لكن الاصوات نفسها، اغمض عينيه مرة
اخرى وضغط عليهما بشدة ليفتحهما من جديد والرؤية هذه

المرّة واضحة، يديه مكبلتين باصفاد الى كرسي خشبي في
غرفة نومه وثيابه عليها قطرات دم كثيرة، رفع رأسه فهاله
ما رأى، زوجته في قبضة ملثمين اغلقا فمها بشريط لاصق
وانهار دموع تجري على وجنتيها، نظرة خوف، هلع، الم
وقهر، انفاسه الحارقة تتسارع وقلبه يخفق بشدة، جسده
ضعيف لا يقوى على الحركة او النطق، اقترب منه احدهما
ملوحا بيده امام وجهه قائلا بشماتة:

-ابراهيم الخليلى اخيرا التقينا مجددا...

حاول تذكر نبذة صوته لكنه لم يعرفه فقرر الآخر تذكيره
بنفسه، رفع القناع على وجهه مرددا:

-هل تذكرني الان!!

ومرة اخرى لا يذكره، من هذا الرجل ولماذا هو هنا!!

-من انت وماذا تريد!!

ثمن باهظ

ازداد غضب الواقف امامه هاتفًا بسخط:

-الا تذكرني!! ادخلتني السجن منذ خمس سنوات والان

تدعي عدم التذكر!!

عاد بذاكرته الى الوراء مسترجعا الاحداث في عقله ثم قال
بذهول:

-غير معقول، لقد حكم عليك بالسجن المؤبد...

ضحكة عالية منتصرة انطلقت منه وهو يرى عليه علامات
الذهول، اقترب اكثر ليهمس قرب اذنه بفحيح افعى تستعد
لنثر سمومها القاتلة:

-اتذكر ايضا انني وعدتك ان تدفع الثمن باهظ!!

تراجع قليلا واستدار ينظر الى فاتن التي شهقت برعب حين
عرفته:

-توفيق!!

ضحكة اخرى ملات المكان وهو يقترب منها بهدوء ليحيط
وجهها بكفه قائلا:

-كيف حال فاتن الصغيرة!!

تدخل ابراهيم مزجرا بصرخة ضعيفة بسبب اصابته:
-ابتعد عنها، مشكلتك معي...

نظر اليه بتشفي قائلا:

-صحيح انني تزوجت دلال... لكنني لطالما اردت هذه
الفاتنة...

امسك شعرها بين اصابعه بقسوة متسائلا:

-رفضتني من اجله!! فلينقذك اذا...

وكذب جائع ينهش لحم فريسته انقض عليها يمزق حجابها
بوحشية، صرخ ابراهيم بهلع...

-اتركها يا سافل، فلتواجهني انا ان كنت رجلا...

لكن لا حياة لمن تنادي، أصبح كسيارة تعطلت فراملها
فأخذت تدهس كل من يعترض طريقها، كاد يفقد عقله مما
يعيشه، هي لم تطاوعه بل رفضت قاومت وحاولت لكنها
اضعف من التغلب على رجلين...

الاصفاد اللعينة تقيد حركته وجرحه اضعف جسمه ولا مجال
للحراك، اغمض عينيه بآلم، يناجي ربه في سره ان ينقذ
زوجته من براثن ذئاب مفترسة، دعا ان تحدث معجزة
ويتدخل احد لتقديم يد المساعدة لكن ما غاب عن ذهنه ان
زمن المعجزات قد ولى منذ زمن وهاهي صرخة مكتومة
تعلن عن انقضاء الامر واستحالة التراجع، لم تواته
الشجاعة ليرفع راسه، يخشى رؤية نظرتها المنكسرة
فتدمي قلبه اكثر، ابتلع ريقه بصعوبة محاولا هضم واقع
يتجرعه بمرارة...

اقترب توفيق منه بنظرة نصر خبيثة، مال عليه اكثر
متسائلا بمكر:

-نرجو انك استمتعت بالعرض سيد ابراهيم...

رفع عينيه اليه بنظرة غضب ارهبته لوهلة لكنه استرجع
ثقلته حين تذكر الاصفاذ التي تكبل يديه، وقف بانتصاب
مردفا:

-هل تذكر عمر الذي ادخلته السجن منذ عشر سنوات...
ضيق عينيه والغضب لا يزال سيدهما، ابتسم الاخر بنصر
ثم تبادل نظرة فهمها الاخر على الفور فهم ينفذ بلا تردد،
انتفض ابراهيم بفزع ومرة اخرى ليس باليد حيلة، تكرر
نفس المشهد بنفس الوقت لكن مع مجرم آخر، وقعت عيناه
على عيني فاتن فانفطر قلبه لكمية الالم بداخلهما، ترجاها
بنظره ان تغفر له لكن قواها خانتها قبل ان تبادله اية نظرة
فغابت عن الوعي مباشرة...

في هذه الاثناء انتهى الرجلان من تعديل هندامهما والفرحة
تغمرهما، ألقياً نظرة اخيرة على المكان وغادرا بعدما قذفه
توفيق بمفتاح الاصفاد، فتحهما واتجه نحوها بلهفة، اخذ
غطاء يستر به جسدها العاري والقى بنفسه ارضا الى
جوارها، تأمل ملامحها الساكنة، ومد يده ينزع عنها ذلك
الشريط الذي يمنع خروج صوتها، اخرجت نفسا كتمته
طويلا بالم، حاول ايقاظها بلا فائدة، نبضها ضعيف ووجهها
شاحب... قاوم الدوار الذي عاد يهاجمه من جديد وحملها
بين ذراعيه بعد ان البسها حجابا اخر وجده في خزانة
الملابس خاصتهما، وضعها في المقعد الخلفي للسيارة
وجلس خلف المقود يضغط جرحه هو الآخر، وصل الى
مصلحة الاستعجالات فحملها مرة اخرى الى الداخل، تقدمت
منه ممرضة تسأل عما اصابها، فصرخ بخوف:
-نبضها ضعيف، احتاج مساعدة...

طلبت منه وضعها على احد الاسرة وهرولت تنادي الطبيب،
وبعد وقت قصير جاء طبيب في الخمسينيات من عمره،
يرتدي نظارات طبية وحلة خضراء، طلب منه البقاء خارجا
واغلق الباب خلفه تبعته بعض الممرضات، تراجع هو
للخلف بقلب وجل، استند على الحائط يترقب خروج الطبيب
والالم يعتصر قلبه، اقتربت منه ممرضة تقول بعملية:
-جرك ينزف، تحتاج تنظيفه...

اجابها بلهجة جافة:

-انا بخير...

حاولت الكلام مجددا لكن حركة قاطعة من يده ألجمتها
فهمت بالمغادرة، تمسك بها فجأة قبل ان يسقط ارضا،
امسكته بصعوبة منادية على زميلاتها تطلب المساعدة،
اخضع هو الآخر لفحص اخبره الطبيب انه بحاجة الى
الراحة والا تعرضت حياته للخطر، أوما براسه موافقا

وخرج نحو غرفتها بسرعة، التقى بطبيبها في الرواق
فسأله بلهفة:

-كيف حالها دكتور!!

رمقه الطبيب بنظرات متفحصة متسائلا عن صلته بها...
-انا زوجها...

تردد قبل ان يطرح سؤاله التالي:

-هل تعرضت لزوجتك للاغتصاب!!

اغمض عينيه بالمرحمة:

-مع الاسف...

وضع يده على كتفه مرددا:

-تعاني من صدمة نفسية حادة وستستيقظ بعد ساعات قليلة
بإذن الله، يجب ان تكون معها لتقدم لها الدعم اللازم...

شكره وخطى خطوات سريعة نحو غرفتها، اغلق الباب بهدوء وجلس امامها، حضن كفها بين يديه وظل يحدق بها حتى تمكن منه النعاس فغفى الى جانبها...

فتحت عينيها تتلفت حولها فرأته غافيا يحتضن يدها بين كفيه، مرت احداث الليلة الماضية كشريط مصور امامها فجذبت يدها بهلع، استيقظ على اثر حركتها العنيفة بقلق، رفع راسه اليها فرأى الدموع تبلل وجنتيها من جديد، اقترب منها فصرخت، تراجع قليلا يهدئ من روعها، ازداد نحيبها وارتفع صوت شهيقها، الذعر يملأ كيانه وهو عاجز، لا يستطيع حتى الاقتراب للتخفيف عنها، بدأت تصرخ بهستيرية فضمها الى صدره بحنو، ضربته بقبضتيها الصغيرتين تبعده عنها لكنه احكم وثاقها يردد بعض الآيات الكريمة عليها تهدأ... خفت حدة نوبتها

ثمن باهظ

واستسلمت بين ذراعيه تبكي بدموع صامتة، اسند ذقنه

على راسها يملس شعرها هامسا:

-كل شئ سيكون بخير... لا تقلقي...

تطلعت اليه من بين دموعها مرددة:

-انا انتهيت... انتهيت...

ضمها اليه اكثر يبتها الطمأنينة:

-لا شئ انتهى فاتن، تعلمين كم احبك ولن اتخلي عنك مهما
حدث...

احاطت جذعه بذراعيها هامسة:

-انا ايضا احبك، احبك جدا لكنها النهاية...

انتفض قلبه بين ضلوعه بالم، هذه اول مرة تصرح عن
حبها لكنه التصريح جاء مقرونا بكلمة النهاية، ضمها اكثر
هامسا:

-لا شئ انتهى حبيبتي... هذه البداية فقط...

شعر بدموعها التي بللت قميصه وبتمسكها به الذي بدا
يضعف:

-يستحيل ان تنسى ما حدث... دائما ستتذكر ان رجلين قاما
بلمسي امامك...

شعر بكلماتها كالخنجر تقطع قلبه بلا رحمة، واصلت
بخفوت:

-احبك ابراهيم... احبك كثيرا...

قالت كلماتها وغابت عن الوعي مجددا، هزها برعب
صارخا:

-فاتن... افتحى عينيك فاتن...

خرج من الغرفة كالمجنون يبحث عن طبيب حتى وجد
طبيبة، جرها من يدها نحو الغرفة دون الاكتراث لطلبها

ثُمَّنْ بَاهِظْ

بالتريث، دخلت الغرفة بصحبة ممرضة مغلقة الباب خلفها
مجددا، دار في الرواق ذهابا وايابا قبل ان تخرج بملاح
متأسفة، حرك راسه بعدم تصديق فزمت شفتيها باسى
مرردة:

-انا لله وانا اليه راجعون...

الفصل الرابع والعشرون

لكل منا قضاءه وقدره وهو كتب عليه الحرمان، حرم من كنف عائلة تحتويه، عائلة تغدقه بحنانها وعطفها ومع ذلك لم يسمح لنفسه بالانهيار، شق طريقه بنفسه، ابتعد عن الناس وتلبس قناع الجمود حتى اتت هي، بخصلاتها الذهبية، عيونها الخضراء، شفيتها الكرزيتين وجنونها، اقتحمت عالمه الجليدي بعنف لتنتشله من بقايا حطام دفن بها نفسه... اغضبها استفزها واحبها!! ارادها معه وله وفعلها اخذها، تزوجها وكان على وشك امتلاكها... وهنا تدخل القدر مرة اخرى، ارغمه على عيش ابشع حادثة شعر على اثرها بروحه تنساب بين اصابعه، تمنى لو استطاع الموت قبل خوض تلك التجربة ورغم هذا كله قاوم الالم،

تمسك بشعاع امل انها لا تزال بجانبه، يتأملها، ينظر اليها ويشبع كيانه بملامحها لكن هذه المرة ايضا كان للقدر رأي آخر، سرقها منه، حرمة قربها وقابلية استنشاق عبيرها، لم يتح له حتى فرصة طلب غفرانها، والآن مجرد طبيبة تقدم العزاء بطريقة عملية!!

لم يصدق ما يسمعه، اي هراء هذا الذي تتفوه به هذه المرأة!! لكنها واصلت كلامها كأنما تريد اقناعه:

-المرحومة كانت تعاني من مرض قلبي ادى الى اصابتها بسكتة انهت حياتها...

جحظت عيناه بذهول اكبر، المرحومة!! هل اصبحت من الاموات فعلا!! نظر اليها بصدمة، القت كلماتها بمواساة وغادرت، تردد في الدخول لكنه تشجع، دفع الباب برهبة، اقترب من سريرها يرفع اللحاف الابيض من على وجهها، حبس دمعة في مقلتيه من النزول وهو يتأمل وجهها لآخر

مرة، تبدو شاحبة، مستكينة، ولا اثر للون الكرز الذي
عشقه، اغمض عينيه بحسرة، الالم يعتصر قلبه كما ينخر
البرد العظام، وذكرياته معها تهاجم عقله بلا رحمة، اول
لقاء واول اعتذار، اول محاضرة واول لقاء بعد الغياب، اول
قبلة و... النهاية... لم يستطع كبح دموعه اكثر فتسللت
دمعة من عينه لتستقر على جبينها، انحنى يطبع قبلة
الوداع على خدها قبل ان يدخل عاملين بسرير متحرك
لاخذها، خرج من الغرفة مباشرة، لا يستطيع ان يشاهد
اكثر، يكفيه ما رآه حتى الان، اصطدم بجسد قوي في الممر
فرفع عينيه لتلتقيا بعيني جياذ التي تشتعلان نارا، سألته
بنبرة قاسية:

-اين اختي!!

وقبل ان يجيب مر العاملان يدفعان السرير الذي يحمل
جثتها، القى نظرة حزينة عليها فأوقفهما جياذ بحذر، رفع

الغطاء وشهق بفزع، نظر اليه بذهول ينتظر تفسيراً فلم يجد ما يقول، هم بالسؤال فقاطعه شرطيان يوجهان كلامهما لابراهيم:

-بحسب التقرير الطبي زوجتك تعرضت للاغتصاب على يد رجلين، هل تعرف هويتهما!!

تراجع جياذ للخلف بهلع، ما الذي يحدث!! ما الذي يجري هنا!! انتظر اجابة ابراهيم عن هوية الفاعلين فأجاب بالنفي...

-كانا ملثمين ولم استطع تحديد هويتهما...

اندفع بغضب يجذبه من ياقة قميصه صارخا:

-اين كنت عندما حدث كل هذا!!

لم يحاول تخليص نفسه حتى فتدخل الشرطيان لابعاده عنه متسائلين:

-اخبرنا عما حدث بالتفصيل...

تبا... هذا ما كان ينقصه، فضوليان وشقيق زوجة!! زفر
بحنق ثم قص عليهم ما حدث واستأذن بالمغادرة لانتهاء
آخر اجراءات الخروج اما جياذ فقد عاد الى المنزل ليزف
لهم هذا الخبر المفجع...

* * * *

في منزل عائلة الشنقاوي كانت فريدة تبكي بحرقة على
فراق ابنتها، ضمتها دلال برفق تهددها، اقتربت منها
بعض النسوة يواسونها في مصابها لكنها كانت شبه غائبة
عن الوعي، البارحة زفتها لعريسها في فستانها الابيض
واليوم عادت اليها في كفن ابيض!!

وضع الصندوق الذي يحمل جثمان ابنتها امامها لتلقي
عليها نظرة اخيرة ففقدت وعيها مباشرة، حملتها دلال
بمساعدة حياة ووفاء الى اقرب اريكة لمحاولة ايقاظها في

حين اخذ الرجال الصندوق الى المقبرة، وضعها جياذ
وابراهيم في حفرة قبرها وبدأوا بافراغ التراب عليها
بمساعدة ادم الذي لم يستطع حبس دموعه، انتهت عملية
الدفن فغادر الجميع باستثناء العائلة، القى سليم بجسده امام
قبرها والدموع تبلل لحيته، ضمه ادم برفق ليساعده للذهاب
الى السيارة، اجلسه بالخلف واخذ مكانه وراء عجلة القيادة
بانتظار جياذ الذي لا يزال بصحبة ابراهيم:

-الن تذهب!!

هز راسه نافيا:

-سأذهب بعد قليل...

وضع يده على كتفه قائلا:

-كلنا سنشتاق لها...

ثمن باهظ

بعد مغادرة جواد انحنى بجسده يعبث بتراب قبرها هامسا
بألم:

-فاتن... حبيبتي... اعدك ان اجعلهما يتمنيان الموت فلا
يجدانه... اعدك...

اتجه بخطوات منكسرة الى سيارته وكله عزم ان ينكل بهما
اشد التنكيل...

* * * *

في بناية مهجورة كانت رائحة الخمر تعم المكان، جرعات
مخدرات ورجلان يحتفلان بنصر كبير، توقف عمر عن
الشرب فجأة متسائلا:

-لابد انه خبر عنا والشرطة تبحث عنا بسبب جريمتين
الان... الهروب من السجن والاغتصاب...

ثمن باهظ

اكمل توفيق ما بكأسه دفعة واحدة ومسح قطرة نزلت على
ذقته القذرة التي لم يغسلها لايام مجيبا:
-لا تقلق، هذه المرة لسنا لوحدنا...

ضيق عينيه بعدم فهم قائلا:

-انت لم تخبرني حتى الان عن هوية من قام بتهريبنا من
السجن...

اجابه الاخر بعد ان استنشق جرعة مخدرة:

-كل ما اعلم انه يلقب بالزعيم، لديه نفوذ رهيب ويقوم بعقد
صفقات غير مشروعة...

هز راسه بشئ من الريبة:

-ولماذا اخلى سبيلنا!!

زفر توفيق بنزق:

ثمن باهظ

-سيوكل الينا مهام جديدة يجب علينا القيام بها... وطبعا
سنجني مكسبا لا يستهان به...

برقت عيناه بطمع واضح فضرب كفه بكف صديقه قائلا
بخبت:

-عصفورين بحجر واحد... المال والحماية...

ابتسم توفيق بمكر مؤيدا:

-اخيرا بدا عقلك بالعمل...

* * * *

فتح عينيه ببطئ فرآها امامه، بابتسامتها العذبة وملامحها
الفاتنة، ابتسم بحب هامسا:

-انت هنا!!

وضعت يدها على وجهه برفق قائلة:

-تبدو بخير...

مهلا... هذا ليس صوتها، انتفض في فراشه يمعن النظر
فيها فادرك انه كان في حلم، هذه لا تشبهها في شيء،
عيناها بلون زرقاء البحر وشعرها احمر جمعته على شكل
ذيل حصان، ترتدي نظارة طبية تتناسب مع شكل وجهها
البيضوي، يبدو من ثيابها انها طبية لكن ما الذي يفعله هو
هنا!! لاحظت حيرته فقالت برقة:

-اصبت في حادث سيارة فتم نقلك الى هنا...

ضيق عينيه بتذكر، هاجمه الدوار من جديد حين كان عائدا
من المقبرة ففقد التركيز واصطدم بسيارة اخرى...

-من احضرني الى هنا!!

اجابته وهي تحقق المحلول الموصول بيده:

-الرجل الذي كان يقود السيارة الاخرى احضرك الى هنا...

وقبل ان تكمل كلامها دخل شاب في العشرينات من عمره
برفقة سيدة كبيرة في السن، اقتربا منه بتحية بسيطة:
-حمدا لله على سلامتكم...

ارخى راسه على الوسادة مرة اخرى رادا التحية بتعب
واضح:

-انا اسف يا سيد... فقدت تركيزي اثناء القيادة...

اقتربت منه العجوز تمسد راسه بحنان:

-اخبرتنا اسماء انك مصاب في راسك بحرح بليغ... اهتم
بنفسك بني، ولا تقلق...

تسائل بعدم فهم:

-اسماء!! من هذه!!

تحنحت الطيبة قائلة:

-انا هي اسماء وهذه امي خديجة وهذا اخي يوسف...

اوماً براسه مجيباً:

-تشرفت بمعرفتكم...

بدا يفقد وعيه شيئاً فشيئاً فسالت خديجة ابنتها عما به:

-اعطيته مهدناً ليرتاح قليلاً...

هزت راسها بتفهم وخرجت من الغرفة برفقة ابنها في حين
وقفت اسماء تتأمل ملامحه النائمة، هناك حزن كبير في
عينيه وبطريقة ما الامر يزعجها...

الفصل الخامس والعشرون

في احد القاعات الفاخرة الملحقة بفندق شهير اجتمع نخبة من رجال الاعمال احتفالا بنجاحاتهم، التفوا حول طاولات صفت فوقها اشهى انواع المأكولات يتناقشون اخر اعمالهم، صعد رجل في منتصف العمر فوق منصة اعدت لهذا الحدث، تنحنح في وقفته ليجذب انتباه الحضور وافتتح الجلسة...

-السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين اما بعد: يسرنا اليوم ان نكرم ابرز رجال الاعمال الذين يسعون للنهوض باقتصاد البلاد بعملهم الدؤوب...

علت ابتسامة وجوه الكثيرين وارتفع صوت التصفيق في كل مرة يتم التصريح عن احد الاسماء المكرمة، في هذه الاثناء دخل رجل يرتدي حلة انيقة وقبعة تخفي معظم ملامح وجهه، جلس في اخر طاولة ينتظر سماع الاسم الاخير...

-والان سيداتي وسادتي اعلن عن اخر اسم ابهرنا بقدرته على تسيير شركة ضخمة رغم صغر سنه... يوسف بيطر... نهض شاب جالس في الصف الثاني يغلق زر سترته ويتجه نحو المنصة براس مرفوع وخطى واثقة، استلم جائزته بفخر ووقف خلف مكبر الصوت يلقي كلمته...

-اتوجه بشكري الى كل من دعموني في مشواري العملي، اشكر ايضا من كان له الفضل في نجاحي، اخ لم تلده ام لكن ولدته الايام، ساندني ووقف بجانبني حتى ذقت طعم النجاح، اتمنى ان يكون موجودا الان ليسمع شكري له...

ابتسم الجالس بالخلف وهو يرى تألق يوسف الصغير، شعر
بشخص يجذب الكرسي بجانبه هامسا:

-متى اتيت!!

التفت جانبا ليجد صاحبة الخصلات الحمراء بجانبه، انحنى
قليلا على الطاولة مستندا بذقنه على كف يده يسترجع
ذكريات سنة مضت...

توالت زيارات يوسف ووالدته خديجة في المستشفى حتى
توطدت العلاقة بينهم، اخبره يوسف انه فقد والده منذ زمن
قريب بسبب مناقصة ربحها فتم اغتياله تاركا الشركة
غارقة في الديون، اكتشف فيما بعد ان توفيق وعمر يعملان
لحساب عصابة هي نفسها التي قتلت والد يوسف، قرر ان
ينقذ الشركة المنهارة ويحبط صفقات العصابة دون ان
يكشف عن هويته وفعلا استطاع ان يفشل عدة اعمال غير

ثمن باهظ

مشروعة وهو الان ليس ببعيد على الامساك بتوفيق
وصديقه...

استفاق من ذكرياته على صوت اسماء المرحبة باخيها:
-مبارك عليك يوسف...

عانقها بحرارة متشكرا واتجه نحوه يصافحه ثم يعانقه
بامتنان:

-شكرا اخي ابراهيم، لولاك لما حققت هذا النجاح...

ابتسم الاخر يربت على كتفه بحنان:

-لا شكر بيننا يوسف، انت اذكى مما تتخيل...

صفقت اسماء بحماس قائلة:

-فلنذهب للاحتفال بهذه المناسبة...

ايدها يوسف بحماس اكبر جاذبا ابراهيم من يده لكنه اعتذر

عن الذهاب متحججا بعمل طارئ، اصر الاثنان عليه اكثر

لكن حزمه كان اكبر، تمنى لهما ليلة سعيدة وخرج من القاعة هاربا من نظراتها التي بات يفهمها جيدا لكنها لا تعلم انه دفن قلبه مع معشوقته قبل سنة...

* * * *

في مكان اخر كان الغضب هو سيد الموقف، وقف خلف النافذة يتأمل احد الشحنات بسخط، اقترب منه مساعده وذراعه الايمن رامز قائلا:

-توفيق وصل يا زعيم...

كشر عن انيابه مزمجرا:

-الغبي... بسببه خسرنا شحنة كانت ستعود علينا بربح

وافر... فلتتول امره رامز...

اموا براسه وخرج من الغرفة بهدوء في حين جلس هو خلف شاشة يشاهد ما سيحدث بعد قليل...

في غرفة اخرى كان توفيق يجول المكان ذهابا وايابا
والخوف يملأ كيانه، فتح الباب ودخل رامز بهيبته المخيفة،
وقف امامه مكتفا ساعديه امام صدره ينظر اليه بسخط...

-تكدنا خسارة اموال طائلة بسبب غباءك وتهورك...

تراجع للوراء برعب مجيبا بتلعثم:

-الشرطة داهمت المكان قبل ان يستلم المشتري بضاعته،
اقسم انني كنت حذرا لكن...

وقبل ان يكمل كلماته انهال رامز على وجهه بلكمة افقدته
توازنه فسقط ارضا يبصق ضرسه بالم...

-هناك خائن بيننا... لست الفاعل...

ضربه مرة اخرى بركلة في بطنه فصرخ اكثر يطلب فرصة
اخيرة، سأل رامز بنبرة مخيفة:

-اين عمر...

تردد قبل ان يجيب فوجه له لكمة اخرى ليتكلم مباشرة:
-لا اعلم... هربنا بعد مداهمة الشرطة لنا ولم اره بعدها
مباشرة...

عاد يركله من جديد وهو يتلوى من الالم، قاطعه احد
الرجال المسلحين ليقول بنبرة عملية:

-سيد رامز الزعيم يريدك في مكتبه...

توقف عن ضربه ورمقه بنظرة مهينة مرددا:

-لم انته منك بعد، انتظرني سأعود...

بصق عليه وخرج من الغرفة يسمح آثار الدماء من يده،

طرق الباب وانتظر سماع الاذن بالدخول...

-هل طلبتني!!

دار بكرسية عدة مرات حول نفسه ثم قال بجدية:

-توفيق معه حق... هناك خائن بيننا...

حك رامز ذقنه بتفكير:

-لا اعتقد، هذه ليست سوى حجة ليخرج نفسه من هذا المازق...

وقف داسا كفيه في جيوب بنطاله ليواجه النافذة قائلا:

-توفيق يعمل منذ سنة بتفان، لن يفكر في خيانتنا لانه يخاف العودة الى السجن... اكتشف من يكون الخائن بيننا وابحث عن عمر في الحال...

رضخ لاوامر رئيسه مرغما وخرج حيث يتواجد توفيق بغل مكبوت، دخل الغرفة فتراجع الاخر بذعر، هز راسه بقرف هاتفا:

-الزعيم اعطاك فرصة اخيرة... لا تضيعها...

انفجرت اساريه مرددا بفرح:

-لن اخيب ظنكم هذه المرة...

ابتسم بسخرية مجيبا:

-فلتبحث عن عمر... لديه معلومات خطيرة...

هز راسه ككلب مطيع وخرج مهرولا قبل ان يغيروا رايتهم
ويقتلوه...

* * * *

في غرفة مظلمة جلس خلف شاشة حاسوبه يتأمل ملامحها
التي اشتاق لرؤيتها، عيونها الخضراء، خصلاتها الذهبية
ونكهة الكرز الشهية التي تذوقها لمرة واحدة، مرر صورها
ببطئ كأنما يتخيل وجودها الى جانبه، صوتها الهادئ
وانعقاد حاجبها عند الغضب، حمرة الخجل التي تكتنفها
ورقة حركاتها، تنهد بالمرح، بحزن وباشتياق، سنة مرت منذ
الحادثة والمجرمان لا اثر لهما، عمل بجد ليدخل السوق
ويفهم المعاملات غير المشروعة، اشترك بها واحكم

ثُمَّنْ بَاهِظْ

سيطرته على الكثيرين من خلال يوسف، الاحجية بدأت تحل
والنصر قريب...

ارتفع صوت هاتفه فلقى نظرة عليه بكسل، اعتدل في
جلسته حين رأى اسم المتصل واجاب باهتمام:
-نعم...

اتاه الصوت على الجهة الاخرى قائلا بسعادة:
-امسكنا عمر...

ضيق عينيه متسائلا بحذر:

-ماذا عن توفيق!!

زفر الاخر باسف مجيبا:

-لقد هرب...

ضرب سطح المكتب بقبضة يده مغمغا:

ثُمَّنْ بَاهِظْ

- انا قادم...

ملاك



الفصل السادس والعشرون

انكب دلو ماء بارد عليه فاستيقظ فزعا، تلفت حوله يمينا ويسارا فلم يجد سوى شاب قوي البنية ينظر اليه باحتقار، امعن النظر في المكان الذي بدا له مألوفا لكنه لم يستطع التذكر متى رآه او زاره تحديدا، الغرفة انيقة جدا لكنها مغطاة بالغبار، يبدو انه تم هجرها منذ زمن، امعن النظر مرة اخرى وفجأة جحظت عيناه برعب، هذه غرفة ابراهيم الخليلي اين اغتصب زوجته برفقة توفيق، تسارعت دقات قلبه حتى خيل له ان الواقف امامه سيسمعها، تساءل بقلق:

-من انت!! وماذا تريد!!-

وضع قدما فوق الاخرى قائلا بمكر:

-ستعلم بعد قليل...

اخذ نفسا عميقا يحاول تهدئة نفسه لكن دون جدوى،
فالخوف قد تمكن من كل خلية من جسده وهو يتخيل قدوم
ابراهيم في اية لحظة...

* * * *

صف سيارته امام المنزل وتأمله طويلا، مرت سنة منذ اخر
زيارة له، يذكر انها كانت الى جانبه، هز راسه بعنف طاردا
الذكريات من راسه وترجل بخطى غاضبة نحو المنزل، فتح
الباب ودخل لتهاجم الذكريات راسه من جديد، تذكرها
بفستانها الضخم تدور وترسم احلاما لم يقدر لها التحقق،
تذكر لمحة السعادة في عينيها وخجلها حين قادها الى
الغرفة، رعشة اصابعها بين كفه ورمشة اهدابها
المتسارعة... وقع نظره على النافذة المكسورة فاسترجع
ذكريات واقع مرير، اغمض عينية بحسرة واخذ نفسا عميقا
ثم اخرج بهبطئ شديد، صعد الدرج وقبل ان يفتح الباب قرر

ثمن باهظ

التخلي عن اي شعور بالانسانية، فالشخص القابع بالداخل لا يستحق اي رأفة او شفقة...

دخل الغرفة والجمود يعلو وجهه، انتفض جسد عمر لا اراديا، اتجه نحو اسلام يربت على كتفه بابتسامة منتصرة قائلا:

-احسنت يا بطل...

بادله اسلام الابتسامة واستأذن بالخروج، استدار ابراهيم نحو عمر يشمر عن يديه ويدور حول كرسيه بخطوات بطيئة كأنما يجسد دقات قلبه المتتالية، وقف امامه فجأة وانحنى قليلا ليوافه وجهه، نظراته خاوية لا تحمل اي تعبير، لمح الذعر في عينيه فابتسم بتشفي، وقف مرة اخرى مسائلا بنبرة خافتة:

-كيف حالك عمر!!

خرجت كلماته خائفة، مترددة ومتلعثمة...

-انا... لم اكن الفاعل... اقصد... توفيق من...

ابتسم بتهكم من جنبه وانحنى مرة اخرى والنبرة هذه المرة
غاضبة:

-سكرك حرمني من عائلتي... عشت خمس سنوات مع
كوابيس حرمتني لذة النوم...

ارتفع صوته الغاضب اكثر وهو يحيط جانبي الكرسي بكلتا
يديه:

-وحين بنيت حياة جديدة تدخلت مرة اخرى لتحطيمها... لن
ارحمك هذه المرة...

صرخ الاخر برعب متضرعا:

-ارجوك يا ابراهيم لا تؤذني، سأقوم بكل ما تطلبه مني...
ساذهب الى الشرطة لأدلي بكل ما اعرفه فقط اغفر لي...

اعتدل في وقفته من جديد متجها حيث كان يجلس اسلام
ليخرج حقيبة صغيرة، فتحها واخرج سكينا حادة مرددا:
-حتى حكم الاعدام لن يشفي غليلي هذه المرة...

انهى كلامه وغرس السكين في فخده لتنتقل صرخة من
عمر اثلجت صدره، مط شفتيه متسائلا ببراءة مصطنعة:
-هل أمتك!!

بدات الدموع بالنزول من عينيه فابتسم بنصر، جذب
السكين من مكانها وزرعها في فخده الاخر، حركها قليلا
لزيادة الالم، صراخه يطرب آذانه لكن نفسه الجشعة لم
تكتفي بعد، رمى السكين بعيدا واتجه صوب الباب هامسا
ببضع كلمات ثم اغلق الباب من جديد، جلس امامه يتأمل
تدفق الدم من فخديه بنشوة، امال راسه لليمين قليلا مرددا:
-اين توفيق!!

هز راسه مجيبا:

-لا اعلم... لقد هرب...

وجه لكمة لجرحه النازف متسائلا ثانية بجدية اكبر:

-اين توفيق!!

صرخ بالم ليحيب من بين دموعه:

-لا اعلم... نحن لا نبقي في مكان واحد حتى لا تمسكنا الشرطة...

في هذه الاثناء عاد اسلام باناء يحوي سائلا ما، وضعه على طاولة الزينة وتساءل هو الآخر:

-من اين تحصلون على الاوامر اذا!!

هتف بالم:

-الاورامر تصل الينا عبر اظرفة بريديّة وما علينا سوى التنفيذ...

اقترب ابراهيم منه اكثر ليحكم قبضته على شعره قائلا:

-من يكون الزعيم...

اجابه بأنين:

-هناك شخص واحد يعرف هويته... اسمه رامز...

هز راسه بتفهم متسائلا من جديد:

-وهل كانت اوامر الزعيم تنص على اقتحام منزلي!!

حرك راسه نافيا:

-هذه كانت فكرة توفيق، اراد ان ينتقم منك بأبشع الطرق

ولم يجد خيرا من زوجتك...

انتفض قلبه بين ضلوعه لدى ذكر اسمها فوجه له لكمة

غاضبة اسقطت اسنانه الامامية، تبادل نظرة مع اسلام

فاقترب منه يحمل ذلك الاناء، نزع غطاءه فشقق عمر

برعب من محتواه:

ثمن باهظ

-ابراهيم لا ارجوك... ابراهيمييين...

فك ابراهيم قيد يده اليمنى وتساءل بلؤم:

-ذكرني باي يد لمست زوجتي!!

حاول جذب يده من بين كفيه لكن محاولته باءت بالفشل،
وضعها داخل الاناء فانطلقت صرخة مدوية زلزلت المنزل
بأكمله، جذب ابراهيم يده ثم التفت الى اسلام بحدة:

-الم اطلب منك ان تغلي الزيت جيدا!!

هز كتفيه باستسلام:

-درجة غليانه فاقت المئة...

مط شفتيه بملل وسكب الباقي على يده الاخرى ليرتفع
صراخه من جديد، اغمض اسلام عينيه قائلا:

-الا تظن انه اخذ جزاءه بما يكفي، لن يستطيع استعمال
يديه لما تبقى من عمره...

ابتسم الآخر بسخرية مرددا:

-هذا ان تبقى شئ من عمره...

ارتفع نحيب عمر متوسلا الرحمة لكن ابراهيم واصل تعذيبه طوال الليل حتى فقد وعيه فأثر تركه لبعض الوقت حتى يسترجع قوته هو الآخر...

في الصباح كان يوسف قد وصل الى المنزل، طرق باب الغرفة ودخل بحذر، هاله ما رأى من حالة عمر، الندوب تملأ كامل جسده ويدها محترقتان بشدة، يبدو انه نزف كثيرا ومن الممكن ان يكون قد فارق الحياة منذ زمن، نظر الى ابراهيم الجالس فوق اريكة بتعب يجاوره اسلام وغمغم:

-صباح الخير...

رد اسلام التحية في حين اكتفى ابراهيم بإشارة من يده، اقترب منه متسائلا:

-هل مات!!

حرك راسه نافيا:

-ليس بعد...

تساءل مرة اخرى:

-وهل عرفت مكان توفيق...

احكم قبضتيه بغضب زافرا بقوة:

-الغبي لم يفدني بشئ...

في هذه الاثناء فتح الباب وانطلقت الى الداخل كاعصار
مدوي، اتسعت عيناها برعب وهي تتأمل ضحيّتهم، تراجعت
للخلف بذعر متممة:

-من اي طين خلقتم!!

رمى ابراهيم يوسف بنظرات غاضبة فانتفض بسرعة يدافع
عن نفسه:

-انا لم احضرها... ظننتها نائمة حين غادرت المنزل...

انتبهها لاقترباها من عمر تحاول اسعافه هاتفة بسخط:

-كنت اعلم انكم تخططون لشيء ما... لكن لم اكن اعلم انكم
منحطون الى هذه الدرجة...

اقترب منها ابراهيم يجذبها من ذراعها بقسوة تاوحت لها،
اخرجها من الغرفة وادخلها غرفة اخرى صارخا في وجهها
بغضب اريعها:

-ما الذي جاء بك الى هنا!!

تراجعت خطوتين للخلف وهي تتأمل السواد المخيف بين
مقلتيه، لم تستطع احكام توازنها فسقطت ارضا تحاول
حبس دموعها من النزول امامه، عاد يتوعدها مرة اخرى
بنبرة محذرة:

ثمن باهظ

-سأخذك الى المنزل الآن... واياك ان تهمني بحرف لاي مخلوق والا ستجدين نفسك مكانه...

هزها بعنف هاتفًا:

-مفهوم!!

-اومات براسها بنعم والدموع تنهمر من عينيها بلا توقف،
جذبها مرة اخرى نحو السيارة وادار المحرك لينطلق
بسرعة...

اثناء القيادة لم ينبس ببنت شفة فاستجمعت شجاعتها
لتطرح سؤالها:

-لماذا ورطت اخي...

رمقها بنظرة محذرة الجمتها، ساد الصمت للحظات ثم قطعه
بقوله:

-لم اورط شقيقك بشئ لا تقلقي... هناك امور عالقة سألها

ثم اغادر حياتكم الى الابد...

انقبض قلبها اثر كلماته، يغادر الى الابد!! هي لا تريده ان

يغادر لكنه يخيفها، ما العمل!!

رددت مرة اخرى برجاء:

-صديقتي تنتظرنني، خذني اليها...

هز راسه باعتراض:

-بل ستذهبين الى المنزل...

-ارجوك... اعدك لن اخبرها بشئ...

زفر بسخط راضخا لطلبها واوصلها حيث تنتظرها

صديقتها، ترجل من السيارة قبلها يحذرهما للمرة الاخيرة

والا ستفقد شقيقها، وعدته ان لا تفشي السر فعاد الى

السيارة وقبل ان يصعد سمع صوتا يناديه باستغراب:

-ابراهيم!!

استدار ناحية الصوت ليصاب بدهشة هو الآخر من هوية
صديقتها:

-وفاء!!

الفصل السابع والعشرون

استدار ناحية الصوت فتفاجأ بوجود وفاء خلفه، اتجه نحوها ببطئ والقى التحية بهدوء:

-مرحبا وفاء...

لم تستطع اسماء كتم دهشتها فبادرت بالسؤال:

-اتعرفان بعضكما!!

هزت وفاء راسها قائلة:

-منذ زمن بعيد...

تنهد بملل ثم ابتسم بعملية:

-كيف حالك وجياد!!

-بخير الحمد لله ماذا عنك!! لم نرك منذ سنة...

بدا الضيق واضحا على وجهه فاستاذن بالمغادرة بعد ان
رمى اسماء بنظرة محذرة فهمت مغزاها على الفور، غادر
مباشرة فامسكت اسماء يد وفاء تهزها بفضول شديد:

-كيف تعرفينه وفاء!!

نظرت اليها بتفكير مجيبة سؤالها بسؤال آخر:

-ما طبيعة العلاقة بينكما!!

احتقتت الدماء في وجهها ففهمت ان هناك شيئا بينهما...

-تحبينه!!

اومات براسها بخجل فزفرت الاخرى بحنق:

-ماذا عنه!!

اتجهت نحو كرسي خشبي تجلس بحزن قائلة:

-انه كلوحة من الثلج، لا يتاثر اطلاقا...

ثمن باهظ

ابتسمت وفاء بتهكم، التاريخ يعيد نفسه من جديد لكن بطلته
هذه المرة ليست تلك الشقراء الثائرة بل اخرى جديدة تفعل
ما بوسعها للوصول الى قلبه المغلق باحكام...

جلست الى جانبها تحضن اصابعها الباردة بين يديها
الدافئتين هامسة:

-اتذكرين فاتن!!

ضيق عينيها بعدم فهم...

-تلك الجميلة معك في الصورة...

هزت راسها بموافقة مضيفة:

-انها زوجته...

هبت واقفة فجأة بذعر:

-اتقصدين انه متزوج!!

مطت شفتيها بتفكير...

-بل ارملي...

شعرت ببعض الارتياح فعادت تجاورها في المقعد:

-اخبريني كيف ماتت...

وضعت وفاء كفها تحت ذقنها مرددة بحزن:

-لا نعلم ماذا حدث بالتفصيل... كل ما اعرفه انها توفيت

ليلة زفافها بعد ان اقتحم مجهولان منزلها...

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تتذكر ذلك الرجل في منزله،

لابد انه احدهما وهو يصفى دينه، مر ببالها فجأة جملة في

السيارة، امور عالقة سيحلها ويرحل!!

-اسماء ما بك!!

انتبهت لصوت وفاء فتساءلت بفضول:

-هل كان بهذا الجمود معها ايضا!!

اتكأت على المقعد وهي تسترجع ما كانت تقصه عليها
فاتن، ارتسمت بسمه حزينة على شفتيها قائلة:
-هذه شخصيته منذ عرفته لكن فاتن استطاعت ان تذيب
قناعه الجليدي بجنونها...
اقتربت منها اكثر باهتمام:
-حدثيني عنها...

اغمضت وفاء عينيها فهربت دمعة حارة منهما...
-فاتن كانت فتاة قوية، كبرياءها قاتل وكرامتها قبل اي
انسان، مهووسة بنفسها حد الغرور لكن قلبها طيب، رقيقة
وصاخبة، تجتاح كيان اي انسان بقوة...

قاطعتها متحججة باضطرارها للذهاب الى المشفى،
غادرتها والغيرة تنهش قلبها، لم تستطع السماع اكثر عن
غريمتها حتى لو كانت ميتة فأثرت الانسحاب بشرف...

عاد الى المنزل مجددا فلم يجد غير يوسف، تساءل عن اسلام فاخبره انه ذهب ليستريح قليلا كونه لم ينم منذ يومين، هز راسه بتفهم وصعد الى الغرفة اين يتواجد عمر، فتح الباب فسمع صوت انين خافت، جذب كرسيا وجلس بمواجهته قائلا بحزم:

-ان اخبرتني عن مكان توفيق سأجعل موتك سريعا ومريحا...

خرجت كلماته مرهقة من اثر التعذيب...

-لا اعلم اين هو لكن هناك مكان نذهب اليه في كل مرة تتوتر الاوضاع...

اقترب اليه اكثر ليسمعه بوضوح اكبر فاسترسل:

-توفيق شخص لا يستهان به، هناك من يحمي ظهره...

ابراهيم بتساءل:

-ماذا تقصد!!

-هناك شخص ما قام بتدبير هويتين مزورتين لنا... شخص ذو نفوذ كبير...

تراجع في جلسته قليلا هاتفا:

-اعطني العنوان...

دخل يوسف فخطبه ابراهيم بحزم:

-يوسف ارسل رجلين الى هذا العنوان ليراقبا كل صغيرة وكبيرة تحدث هناك...

اعطى الورقة ليوسف ووقف يخرج مسدسا بكاتم صوت،
اتسعت عينا يوسف بذعر هامسا:

-ما الذي ستفعله!!

وجه فوهته نحو راس عمر قائلا باحتقار:

-انتهيت منه...

ضغط الزناد فانطلقت طلقة لا تخطئ هدفها لترديه قتيلا،
تراجع يوسف برعب مرددا:

-دمك بارد يا رجل...

تخطاه خارجا ثم توقف قليلا يوجه له امرا قاطعا...

-نظف المكان ولا تترك اثرا واحدا...

اوقفه يوسف متسائلا:

-ماذا عن الجثة!!

استدار ينظر نحو عمر ثم قال بغل:

-خذوه الى العنوان حتى يراه توفيق...

لقى كلماته او بالاحرى اوامره وخرج متجها نحو شقيقته
فهذا المنزل لا يحمل سوى ذكريات يحاول الهروب منها...

في احد مجاري المياه تحت الارض جلس يجاور الجرذان
القذرة، استند على الجدار بظهره يلعن حظه، وضع سجارة
في فمه واشعلها ينفث سمومها في الاجواء، اخرج هاتفه
يجري اتصالا للمرة الالف والجواب نفسه، مغلق او خارج
مجال التغطية، زفر بسخط ثم عاود الاتصال بمحاميه
كريم...

-مرحبا كريم كيف حالك!!

اجابه بنزق:

-ماذا تريد!!

ابتسم بمكر مرددا:

-اريد مالا...

هم كريم باغلاق الخط لكن توفيق حذره:

-سابلغ عنك الزعيم ان لم تفعل...

تأفأف بملل قائلأ:

-سأترك لك المبلغ في الشقة المعتادة... لكن أأأ ان أأصل
بي مجددا...

وأفأ أوفأق على ما أأوله مؤقأأ وأمل نفسه أأأأ إلى
الشقة وهو لا أزال أأاول الأأصال بعمر...

* * * *

أأأأ بآن المأأأأ الطأأأأ شأرأأ في الأأأأ الأأأرأ،
وأأأ والأأأ أأعأ أأول أبرأأأ لأأأأأ، أأأأ أوأأأأ
المأأأأ وأأع من شأأأأأ أأأأ أأأأ أأأأ أأأأ أأأأ
لأأأ أأأأ أأأأ منه وأأ نفس الوقت أأأأ!! لم أأأ
أأأأ ما أأأأ، أأأ أأأأأأ وأأأ أأأأأ بألاأأأأ
عنأ...

ثمن باهظ

ضربت سطح المكتب بقبضتها وحملت حقيبتها نحو وجهة
مجهولة...

الفصل الثامن والعشرون

اغلق الباب خلفه والقى بمفاتيحه فوق خزانة الاحذية، غير ملابسه المتسخة بدماء ضحيته واتجه الى غرفة المعيشة يفتح حاسوبه، اخذ يتأمل صورها من جديد لكن هذه المرة همس بحب...

-انتقمت لك من احدهما قصيرتي...

ابتسم بحزن وهو يردد كلمة قصيرتي، اه كم يشناق لصوتها، لحركاتها المجنونة وشتمها له، اتسعت ابتسامته اكثر حين تذكر كلمة سافل منها، لقد اصبح سافلا فعلا، عذب رجلا بوحشية ثم قتله بدم بارد، اغمض عينيه عند هذه النقطة وارخى راسه على الاركة محاولا نيل قسط من الراحة لكن جرس الباب المزعج ارتفع يعلن وجود زائر،

ثمن باهظ

استغرب من يمكن ان يكون القادم فأحمد كان الشخص الوحيد الذي يزوره وقد ابتعد عنه تماما بعد وفاة فاتن وبداية مشوار انتقامه، اتجه نحو الباب ليتفاجأ بوجود صاحبة الخصلات الحمراء امامه، نظر اليها بوجوم فهمست بخجل:

-أيمكنني الدخول...

لم يتحرك قيد انملة فقط سالها بجمود:

-ما الذي اتي بك الى هنا!!

ابتلعت ريقها بخجل قائلة:

-هناك ما اود اخبارك به...

اخرج نفسا حارا سامحا لها بالدخول، جلس على اريكة

وسألها بنفس النبرة الجامدة:

-ماذا هناك!!

ثمن باهظ

ارتبكت اكثر فخرجت كلماتها بصعوبة بالغة من حلقها:

-هل لي بكوب ماء من فضلك!!

زفر بقلّة صبر هاتفا:

-ماذا تريدن اسماء!!

وببراءة اجابت:

-كوب ماء...

وقف يتجه نحو المطبخ والانزعاج يعلو وجهه، تابعته بنظراتها حتى اختفى ثم التفتت نحو الحاسوب، تأكدت من عدم قدومه بعد وادارته نحوها، تفاجات من صورة الشقراء التي تغطي كل الشاشة وقبل ان ترجعه الى وضعيته السابقة علا صوته بغضب:

-اسماااااااا...

ثُمَّنْ بَاهِظْ

تسمرت في مكانها وتحجرت الدموع في مقلتيها، اقترب
منها واخذ الحاسوب من امامها يغلقه بعنف صارخا:

-من سمح لك بلمسه!!

انهمرت دموعها كالسيل على وجنتيها فتأفف بسخط، جلس
امامها يناولها كأس الماء قائلا:

-اسف...

امسكت كأس الماء بأنامل مرتجفة، قربته من شفتيها
وارتشفت رشفة صغيرة ثم تساءلت بخفوت:

-ألهذه الدرجة كنت تحبها!!

تنفس بعمق ووقف متجها نحو النافذة يدس كفيه في جيوب
بنطاله، وقفت خلفه تعيد نفس السؤال فأغمض عينيهِ مجيبا
بنبرة يتخللها الالم:

-انا لم احبها... انا عشقتها... بل اعشقها وسأظل على
عشقي لها حتى اخر نفس اتنفسه...

شعرت بكلماته كسكينة حادة تقطع قلبها، عضت شفيتها
تكتم شهقة الم من الوصول الى مسامعه بصعوبة، استدار
نحوها ثم اتكأ بظهره الى النافذة مرددا:

-اسماء... رايت في عينيك ما لم تبوحى به بلسانك لكنني
اسف لن استطيع ان اكون لغيرها...

جاهدت دموعها لكنها كانت اقوى منها فانهمرت من جديد،
رق قلبه لها فناولها محارم ورقية وكاس ماء كانت قد
شربت منه قبل قليل، جلس بجانبها بهدوء حتى هدأت كليا
ثم قال:

-انت انسانية رائعة، ستجدين من يحبك ويحتويك اكثر...
نزلت دمة على خدها هاتفة:

ثُمَّنْ بَاهِطْ

-لكنني اريدك انت ابراهيم... انا... انا احب...

قاطعها باشارة حازمة من يده ووقف يتجه نحو النافذة من جديد:

-فلتنسي انك عرفتني...

هزت راسها برفض فنهرها بغضب:

-انا قاتل... قاتل... اتل... اتدركين معنى كوني قاتلا!!

انتفضت مرة اخرى ممسكة يده بين اصابعها:

-لست قاتلا يا ابراهيم، انت فقط تنتقم...

وهذه المرة الضحكة ساخرة، تلاها انعقاد حاجبين بغضب

وهزة عنيفة كادت تززع كيائها:

-افريقي... حتى لو لم ادخل السجن فلن اعيش كباقي

البشر... انسي انك عرفتني واخرجي من منزلي حالا...

لم يتوقف سيل دموعها ثانية واحدة وهي تأخذ حقيبتها
وتهم بالمغادرة، اوقفها صوته فاستدارت وكلها امل ان
يعتذر عما بدر منه لكنه فاجأها بجموده المعتاد والممتزج
بوقاحة لم تعهدها منه:

-لا تدعيني ارى وجهك مرة اخرى...

وببقايا كبرياء مكسور هزت راسها توافقه، اغلقت الباب
خلفها ونزلت الدرج بقلب مفطور وعيون دامعة... اما هو
فجلس على الارضية يأكله الندم، هو فعلا لا يحبها ولن
يحبها لكنه يحترمها وما فعله قبل قليل هو الصواب...

* * * *

في مكان اخر كان اسلام يجلس في سيارته رباعية الدفع
بممل، يرافقه رجلان شديدا القوة مزودان بالسلاح
للضرورة، شعر بدقات خفيفة على الزجاج الامامي فرفع

ثُمَّنْ بَاهِظْ

راسيه ليجد ابراهيم ينظر اليه بعتاب، فتح الباب الخلفي
وجاوره قائلا:

-أهكذا تراقب المكان!!

استرخى اسلام على مقعده اكثر مرددا بملل:

-نحن نراقب المكان منذ اكثر من اثني عشرة ساعة ولا شئ
جديد...

ضربه على راسه بجدية مصطنعة:

-هذا ليس ما علمتك اياه اسلام...

وضع ساعده على عينيه يطم شفتيه بحنق واضح:

-الشباب قائمون بالواجب واكثر...

لم ياته رد ففتح عينيه ليلمحه ينظر الى شئ ما بتدقيق،
التفت حيث ينظر فرأى رجلا يقف امام باب المنزل، تلفت

يميناً شمالاً ثم دس ظرفاً تحت الباب وغادر، تساءل عن هوية الرجل فاجابه بتذكر:

-هذا محامي الدفاع الخاص بتوفيق...

عاد يتساءل بفضول اكبر:

-وما الذي جاء به الى هنا!!

ضيق ابراهيم عينيه بتفكير، عقد ساعديه امام صدره قائلاً بنبرة متاكدة:

-لابد انه ترك مالا لتوفيق... فلننتظر قليلاً، سيحضر الى هنا بلا شك...

وفعلاً، وبعد انتظار دام ساعة ونصف كان توفيق يقف امام المنزل، ادار المفتاح ودخل بهدوء، التقط الظرف بسرعة واحكم اغلاق الباب خلفه، لاحظ وجود زجاج على الارضية فاتجه نحو الداخل يتفحص المكان، شهق برعب وهو يرى

جثة صديقه عمر امامه، جسده ملئ بالندوب ويداه
محترقتان بالكامل، عيناه جاحظتان وثقب صغير يتوسط
جبينه، تراجع للخلف بخوف فاصطدم بشئ ما، استدار
ببطئ لتقابلته ابتسامة مأكرة تلتها ضربة على راسه افقدته
وعيه...

الفصل التاسع والعشرون

استيقظت على رنين هاتفها المزعج فاجابت بعينين مغلقتين
وصوت ناعس، قابلها بكاء صديقتها المرير فجلست تفرك
عينها طالبة منها التحدث بروية لتفهم خطبها، كلماتها
كانت متحجرة تكاد تكون غير مفهومة، اخبرتها ان
تلاقيها في مكانهما المعتاد واسرعت تغير ثيابها، استقلت
سيارتها وانطلقت بها كالسهم متخطية كل العوائق، كادت

ثمن باهظ

تدهس شيخا كبيرا ولم تبالي، جل ما يهملها الوصول الى صديقتها التي تبدو منهرة تماما، توقفت امام حديقة كبيرة وترجلت بسرعة تبحث بعينيها عنها، لمحتها جالسة تحت احد الاشجار وافرة الظلال فاتجهت نحوها تسألها عما اصابها، ارتمت الاخيرة في احضانها ما ان راتها واخذت تبكي بمرارة، رتبت على شعرها بلطف تهددها، احاطتها بذراعيها حتى استكانت تماما ثم جذبتها برفق لتواجهها، سألتها بحنو:

-ماذا حدث!!

توقفت عن البكاء تحاول اخراج جملة مفيدة رغم شهقاتها المتتالية:

-اعترفت بحبي له...

علا الغضب ملامحها فلم تستطع كتم عصبيتها:

-اجننت ام ماذا!!

ثمن باهظ

تعالى شهاقاتها من جديد هاتفة من بين دموعها:

-لكنني احبه...

جذبتها وفاء الى حضنها مرة اخرى تخفف عنها ثم همست

بفضول:

-وما الذي قاله!!

اخفضت عينيها بانكسار:

-طردي...

انعقد حاجبها بسخط صارخة:

-زرتة في منزله!!

والدموع كانت الاجابة، تخللت خصلات شعرها باصابعها

مرددة بسخط:

-انت فعلا غبية...

* * * *

في منزل ابراهيم كان توفيق قد استعاد وعيه، وجد نفسه مكبلا على نفس المقعد الذي كبل عليه ابراهيم منذ سنة، دب الرعب في نفسه وهو يرى آثار الدماء في الغرفة، فهم على الفور انها دماء عمر، تسارعت دقات قابه وهو يتخيل مدى العذاب الذي خاضه صديقه والذي سيجربه بلا شك، اغمض عينيه يفكر بحل لهذه المعضلة، ابراهيم شخص مخيف، نظراته الحادة، ملامحه الحازمة، بروده وغموضه، كل شئ فيه يبث الخوف في قلبه لكنه هداً، صمد واستكان هو اذكى من الموت بهذه الطريقة، سيتفزه ياقسى الطرق ليقترله في لحظة غضب فلا يتعذب كثيراً...

دخل اسلام الغرفة وماهي الا لحظات حتى تبعه ابراهيم بخطواته الواثقة، ابتسم بترحاب مقترباً من كرسيه، انحنى

بجذعه الضخم واضعا يديه على جوانب الكرسي مداعبا
بمرح:

-نورت المنزل سيد توفيق...

تراجع في مقعده قليلا مغمما:

-اقتلني ان كنت تريد ذلك...

والاجابة كانت عبارة عن قهقهة عم صداها ارجاء المنزل
بأكمله:

-اقتلك وافوت على نفسي فرصة المرح!!

تيقن توفيق انه سيذيقه عذاب الجحيم ففضل المهاجمة
مباشرة، هز كتفيه بلا مبالاة:

-حسنا... لا مانع لدي طالما لي ذكريات ممتعة في هذه
الغرفة...

امتقع وجه ابراهيم فاستطرد بخبث:

-فاتن كانت لذيذة، الدقائق القليلة التي قضيتها معها كانت من اجمل لحظات حياتي كلها...

قرب طاولة الزينة منه بغضب لم يستطع كبحه، واصل الآخر التفوه بحماقات اقشعر لها بدنه لكنه من سيدفعه الثمن هذه المرة، فك قيد احد يديه ووضعها على الطاولة امامه، تساءل بمكر:

-اي اصابع يدك استعملت يوم لمستها!!

جحظت عيناه برعب وهو يلوح ارتفاع سكين كبيرة حادة ونزولها بسرعة لتقص سبابته، صرخ بالمرعب فابتسم اباراهيم بنشوة قائلا:

-ام انك استعملت هذا!!

ومرة اخرى هبط على اصبعه الاوسط، ارتفع صوت صراخه من جديد ففضل تركه ليلتقط انفاسه، تراجع للخلف

ثمن باهظ

يستمتع بالمنظر امامه، انتظر حتى توقف لهاث توفيق ثم
تمتم بجدية:

-هل نكمل!!

ارتفع صوت نحيبه متوسلا ان يغفر له لكن وقت المغفرة قد
ولى وعليه دفع الثمن، امسك يده مرة اخرى واكمل بقية
اصابع يده اليمنى ثم اليسرى واحدا واحدا مستمتعا ببكاءه
والمه...

دخل اسلام فاغض عينيه بقرف مرددا:

-ما كل هذا يا ابراهيم!!

ابتسم الاخر بسعادة وهو يقول:

-انتقام...

جلس فوق اريكة يعبث بهاتف ما فسأله عن صاحب
الهاتف، اشار الى توفيق مجيبا:

-وجدته في جيبه...

هز راسه بموافقة واكمل عملية تعذيبه طالبا منه ابقاءه
على اطلاع بكل جديد، سخن حديدا جيدا ثم خط خطوطا
محرقة على ظهره وبعدها تذكر الشريط اللاصق الذي
وضعه على فم فاتن لكتم صوتها، اهتدى لفكرة جهنمية
فاحضر خيطا وابرة ليخيط شفتيه، وقبل ان ينفذ قاطعه
اسلام متسائلا عن هوية صورة رجل وجدها في هاتفه،
اخبرهم انها صورة رامز مساعد الزعيم، الوحيد الذي
يستطيع رؤية وجهه، القى ابراهيم نظرة على الصورة
فاتسعت عيناه بذهول، الرجل مؤلوف لديه، لقد رآه من قبل
لكن اين!! اعتصر مخه حتى تذكر، لقد رآه بصحبة...

تسارعت دقات قلبه اكثر وهو يفكر في احتمالية ان يكون
الشخص بباله هو نفسه الزعيم، هزه اسلام برفق يفيقه من
شروده فانتبه لضرورة اكمال ما بدأ القيام به، طرد الافكار

ثمن باهظ

من راسه وصفى ذهنه ليتفرغ لعملية التعذيب امامه، ادخل الخيط في الابرة وامر اسلام بتثبيت راسه، صرخ توفيق بترجي لكن امره كان واضح، حاول المقاومة بلا فائدة فالقرار وضع قيد التنفيذ، تراجع قليلا بعد انتهاء مهمته يتأمل وجهه بسعادة هاتفا:

-اتصدق انك تبدو وسيما اكثر!!

استغرب اسلام مرحة الذي لم يره من قبل، اعتاد منه قلة الكلام وانعدام الضحك لكنه لم يعلق، اكتفى بالخروج من الغرفة لملاقاة يوسف تاركا اياه يستمتع بغنيمته لوحده، بعد يوم كامل من التنكيل خارت قوى توفيق تماما، سكب دلو ماء بارد عليه ليستفيق لكن جسده المرهق لم يستجب، هم بسكب دلو اخر لكن دخول اسلام ويوسف ابمفاجئ اوقفه، نظر الى ملامحهما ففهم ان هناك مشكلة، انقاد خلفهما فبادر يوسف بالكلام:

-لقد انكشف جاسوسنا...

انعقد حاجباه بدهشة:

-اتقصد محمد!!

ضرب اسلام الحائط بيده مغمما:

-السفلة...

اتجه الى غرفة مجاورة بسرعة ووقف امام طاولة يوجد
فوقها جهاز تنصت دسه في قميص محمد، شغله واستمع
باهتمام شديد، كانت الاصوات عبارة عن لكلمات توجه له
تلاها صوت رجل يهتف بنزق:

-من ارسلك!!

ولا اجابة من محمد، توالى صوت اللكمات فكور ابراهيم
قبضتيه بغيط في حين اشاح يوسف واسلام ببصرهما بعيدا،
عاد صوت الرجل يعلو من جديد:

ثُمن باهظ

-كيف تخون الزعيم ايها الوغد!!

نطق محمد هذه المرة بسخرية يتخللها الالم:

-عن اي زعيم تتحدث!!

وجهت له لكمة ثانية وثالثة ورابعة ثم دخل صوت رجل

اخر على الخط قائلا:

-عني يتحدث...

خاطبه محمد بوقاحة:

-انت هو الزعيم اذا!!

انطلقت ضحكة عالية منه مؤيدا:

-ابدو وسيما اليس كذلك!!

وهذه المرة الاجابة كانت عبارة عن بصقة على وجهه، عاد

صوت اللكمات يرتفع من جديد ثم ساد هدوء غير مفهوم،

اقترب يوسف من الجهاز يتفحص ان كان اصيب بعطل
فاخذه ابراهيم من يده قائلا:
-لقد مات...

انتفض اسلام بعدم تصديق فأردف:
-وضعت له سما في خاتمه لوقت الحاجة... يبدو انه
استعمله...

ارخى يوسف كتفيه بحزن واثكأ اسلام بظهره على الجدار
متسائلا بغضب:

-كيف سننتقم من هذا الزعيم!!

التمعت عينا ابراهيم وهو يقطع الشك باليقين، لقد عرف
هويته، الزعيم ليس سوى رجل يعرفه، المعركة هذه المرة
حامية، الدم يغلي في عروقه وحتى اعدامه او تعذيبه لن
يشفي غليله، خرج من الغرفة يتجه نحو توفيق بحقد، فتح

الباب فتراجع الجالس برعب، وقف خلفه ورفع ذقنه ليمرر
سكيناً حادة على عنقه ببطئ، تلذذ بكل قطرة دم خرجت منه
حتى تمت عملية النحر بنجاح، انتفض جسد توفيق ككباش
مذبوح عدة مرات ثم استكان تماماً، غير ثيابه وأمر اسلام
ويوسف بالخروج من المنزل، اشعل عود ثقاب ورماه على
بركة بنزين ضخ به المنزل بأكمله، استقل سيارته وضغط
رقماً يعرف صاحبه حق المعرفة، اتاه الصوت بعد رنة
قصيرة:

-ابراهيم اهلا... ما كل هذا الغياب!!

تنفس ببطئ يحاول كتم غضب مكبوت متمتما:

-اريد رؤيتك...

الفصل الاخير

ان يغدر بك عدوك فهذا شئ متوقع لكن ان تأتيك الطعنة من اقرب الناس فهذا فوق طاقة الاحتمال، العدو يمكن ان تنكل به، تنتقم منه وتقتله لكن ماذا عن القريب!! تعذبه ام تقتله ام فقط تتركه لعذاب الضمير!! هذا ان كان يملك ضميرا اصلا!!

امضى عاما كاملا يخطط للانتقام وفعلا نفذه بابشع الطرق، تلذذ بصراخهم، آهاتهم وآلامهم، قتل الانسانية بداخله واطلق العنان لشيطانه كي يخرج ثم حدث ما لم يكن بالحسبان، داعم قاتل زوجته ليس سوى احد المقربين، اخرج عدوه من السجن ليذيقه ابشع العذاب... لكن يبقى السؤال الذي يطرح نفسه بالحاح... لم!!

قاد سيارته بسرعة نسبية نظرا لكون الطريق مزدحمة،
ضرب المقود بقوة ينفس عن غضبه ثم اتخذ طريقا آخر
والنتيجة نفسها، الشوارع مزدحمة والسيارات متوقفة، لعن
حظه في سره وبدأ بتخطي الآخرين دون الاكتراث لاصوات
مزاميرهم وشتهم له، كاد يصطدم بسيارة تقودها امرأة
لكنه تفادها في الوقت المناسب، ابتسم وهو يتذكر فاتنته
حين اجبرته على الاعتذار في قسم الشرطة لكن الابتسامة
سرعان ما اختفت لدى تذكر سبب موتها، زاد السرعة قليلا
محاولا التحكم في غضبه...

في الخلف كانت وفاء تسب وتلعن صاحب السيارة السوداء
الذي كاد يدهسها، صرخت اسماء قائلة:

-وفاء... هذه سيارة ابراهيم...

نظرت وفاء امامها مغممة بغضب:

-الن يكف عن هذه العادة ابدًا!!

لم تهتم لملاحظتها فقط هتفت بترجي ان تتبعه، رفضت وفاء في البداية ثم رضخت لطلبها تحت اصرارها والحاحها، سارت خلفه تاركة مسافة بينهما حتى لا يراها، لاحظت بعد مدة انه يتخذ طريق المقبرة فتساءلت بخفوت:
-اهو ذاهب لزيارتها!!

استدارت اسماء اليها عاقدة حاجبها باستياء:

-زيارة من!!

مطت شفتيها بتفكير واجابتها بهدوء:

-فاتن... اقصد قبرها...

تغيرت ملامح وجهها للسواد طالبة منها العودة بالسيارة لكن فضول وفاء دفعها للحاق به، صفت سيارتها عند باب المقبرة فلاحظت وجود سيارة اخرى، ازداد فضولها فخاطبت اسماء:

-اتريدين المجئ معي!!

هزت راسها بعدم رغبة فترجلت لوحدها بصمت حتى لا
تثير انتباه من في الداخل، تقدمت بضع خطوات ثم شعرت
بيد تمسك ذراعها، شهقت برعب واستدارت لتجد اسماء
خلفها، انبتها بعينيها فهزت الاخرى كتفيها بلا مبالاة:

-شعرت بالخوف للجلوس وحدي فلحقتك...

اشارت لها بيدها لتخفض صوتها ودخلت بهدوء نحو قبر
فاتن الذي يقع في الجهة الاخرى للمقبرة، بعد دقائق من
السير تسمرت فجأة في مكانها، اختبأت خلف جذع شجرة
كبيرة وجذبت اسماء خلفها لتتابع ما يحدث بصمت...

* * * *

نعود قليلا للوراء، وصل ابراهيم الى المقبرة فلمح سيارة
امام بابها، اتجه الى قبر فاتن فوجده بانتظاره هناك، تقدم
منه بخطوات حائرة انتبه لها الاخر لكنه لم يعلق، اكتفى بمد

ثُمنٌ باهظ

يده لمصافحته لكنه تخطاه نحو قبرها، انحنى قليلا وهمس
بحزن:

-انقضت سنة منذ غادرتنا...

اقترب منه يضع كفه على ظهره متمتما:

-كلنا اشتقنا اليها يا ابراهيم...

عقد حاجبيه بغضب ورفع راسه يرمقه بنظرات جافة، انتبه
الاخر له فساله بهدوء:

-هل هناك خطب ما!! لا تبدو على ما يرام...

والاجابة هذه المرة تمثلت في لكمة افقدته توازنه فسقط

ارضا يمسح الدماء من شفتيه، نظر اليه باندهاش هاتفا:

-أجنتت ام ماذا!!

تخلل شعره باصابعه يحاول كتم غضبه، يود لو يشرب دمه

حتى اخر قطرة لكنه بدل ذلك صرخ:

ثُمَّنْ بِاهِطْ

-لم فعلت ذلك!! ألم تكن شقيقتك!!

التقى حاجباه بعدم فهم، ما الذي فعله ليغضب منه بهذا الشكل!!

-ما الذى دهاك يا رجل!!

زفر ابراهيم بقلة صبر ثم جذبه من ياقة قميصه صارخا:

-لماذا اخرجت توفيق وعمر من السجن!!

بحضرت عيناہ بدھشہ هذه المرة، كيف عرف!!

خلص ياقة قميصه من بين كفيه وقال بحزم:

-بيدو انك جنت...

اداره ظهره وهم بالمغادرة فارتفع صوت ابراهيم من جديد:

-جیااااد...-

ثُمَّنْ بَاهِظْ

تسمر جیاد فی مكانه حین اتبع اسمه بلفظة "زعیم" ،
استدار ببطی غیر مصدق انه كشفه، حاول التماسك ثم وقف
یقابله من جدید:

-کیف عرفت!!

ابتسم الآخر بتهکم:

-اهذا هو المهم الان!!

وصرخ مکملا:

-قتلت شقیقتک ایها الوغد!!

فاغ فمه ببلاهة، هذه المرة هو لا يدعي البراءة، هو فعلا

برئ، لم یقتل شقیقته، هز راسه یمینا وشمالا...

-کلا... لم افعل...

دس یدیه فی جیوبه وضرب حجرا بقدمه مرددا:

-الم تساعد توفیق وعمر علی الخروج من السجن!!

اوماً براسه مؤيدا:

-بلى فعلت لكننى لم اقلها...

تأمله ابراهيم بعدم تصديق فعاد يدافع عن نفسه:

-اقسم اننى لم اقلها... وما علاقة توفيق وعمر بفاتن

اصلا!!

صمت قليلا يحاول تحليل كلامه، ايمكن ان يكون صادقا!!

تقدم منه اكثر فتراجع جياذ للخلف مسترسلا:

-كنت بحاجة لرجل للقيام بصفقة مخدرات كبيرة، ساعدت

توفيق للخروج من السجن لاننى لم اكن اريد ان افقد مزيدا

من رجالى، كنت اخطط لارجاعه السجن مع عمر بعد

شهرين لكنهما اختفيا منذ ايام...

كلامه يبدو منطقيا، ملامحه تبدو صادقة لكنه لا يستطيع ان

يغفر له، جشعه قضى على اخته وعليه ان يعاقب...

-اتعلم من اغتضب فاتن!!

وكانت هزة الراس تعبر عن لا فشرح له اكثر:

-من اردت استخدامهما لاعمالك النبيلة يا زعيم قاما باقتحام منزلي، ضربني احدهما بقضيب حديدي افقدني وعيي وحين افقت وجدتها في قبضتهما، وجدت نفسي مكبلا الى الكرسي و...

قاطعه جياذ بصرخة وخطوات متراجعة الى الخلف...

-كفى... انت كاذب... كفى...

ابتسم بتهكم وهو يقترب اليه اكثر:

-الم تعجبك الحقيقة سيادة الزعيم!!

واللكمة هذه المرة كانت من نصيبه، ارتفع صراخه اكثر متهما:

-لم تستطع حمايتها، وجئت لتلقي بمسؤوليتك على كاهلي!!

اجابه بنبره منكسرة وعينان حزينتان:

-لا انكر انني لم استطع حمايتها، لكن على الاقل لم اكن
سببا في خروج مجرمين من السجن...

امسك ياقة قميصه من جديد صارخا:

-انت قتلتها جياد... جشعك قتلها يا زعيم

هزه بعنف ثم جحظت عيناه فجأة وانتفض جسده رغما
عنه، اخفض عينيه الى صدره فلمح بقعة دم تكبر بسرعة
رهيبية، لم يكن جياد باقل دهشة منه فجذب سلاحه واطلق
على الواقف خلفه، سقط جسد رامز على الارض بعد ان
اصابته الرصاصة بين عينيه، ظن ان ابراهيم سيؤذيه فدافع
عنه وفقد حياته ثمنا لها...

خلف الشجرة كانت الفتاتان تستمعان للحوار بدهشة، كادت
وفاء تفقد عقلها مما سمعته، زوجها رئيس عصابة!!
استندت بجسدها على الارض تحاول كتم دموعها دون

فائدة، ارتفع صوت الرصاصة فتجمدت الدماء في عروقها،
رفعت عينيها بثقل فرات ابراهيم ينهار ارضا تبعه رجل اثر
طلقة من مسدس زوجها، صرخت اسماء برعب وهرولت
نحو ابراهيم بقلب مذعور، انحنت على ركبتها امامه
تضغط جرحه الذي ينزف بقوة، تراجع جواد بهلع واستدار
مغادرا، لم يصدق ما يحدث، طمعه قتل شقيقته!! سار
بخطوات غير متوازنة يردد كلمات غير مفهومة، لم ينتبه
لوجود وفاء امامه حتى، كل ما يراه عبارة عن غمامة
سوداء تحجب عنه العالم الخارجي، جملة ابراهيم تتردد
بداخله دون توقف، قتلتها يا جواد قتلتها... توقف فجأة
يضحك بهستيرية ثم وجه فوهة المسدس نحو راسه وضغط
الزناد منها حياته، صرخت وفاء بألم ثم تهاوت على
الارض مسلمة نفسها لعالم اللاوعي...

ثمن باهظ

اما اسماء فكانت تحاول بكل طاقتها ايقاف النزيف لكنها لم
تستطع، ابتسم ابراهيم بتعب هامسا:
-انا اسف... كنت فظا معك...

لم تستطع ايقاف السيل على وجنتيها هاتفة:
-اصمت ستكون بخير... الاسعاف قادم...
اغمض عيني به ألم ثم فتحهما بصعوبة مغمما:
-ساعديني للوصول الى ذلك القبر...
انتفضت بحدة مجيبة بعصبية:
-جرحك ينزف لا يجب ان تتحرك...
حاول الجلوس ماسكا يدها:
-اسماء هذا اخر طلب...

عضت شفتيها بالم ثم لفت ذراعه حول كتفه تساعده على الوصول، استلقى على القبر ثم تنهد بارتياح، مرر كفه فوق ترابها هامسا:

-فاتن حبيبتي... انتقمت لك... فاتن انا قادم قصيرتي...

سقطت دمة من عينه وهو يواصل:

-اشتقت اليك فاتنتي، انتظريني...

لم تستطع اسماء التوقف عن ذرف الدموع وهي تتأمل منظره، انه يبكي فعلا، من ظننه بلا مشاعر اظهر ان له قلبا عاشقا، انتبهت انه استكان فاقتربت منه برهبة...
-ابراهيم...

ولا اجابة، مدت اصابعها المرتجفة تغمض عينيه وتدعو له بالرحمة ولها بالقدرة على النسيان...

تُمن